وليم سليمان قلادة

مدرسة الوطنية المصرية

طارق البشرى
أنور عبد الملك
الأنبا موسى
محمد سليم العوا
رفعت السعيد
نبيل عبد الفتاح
أحمد عبد الله
جمال الغيطانى
محفوظ عبد الرحمن
رشدى أبو الحسن
موريس أسعد
مينا بديع عبد الملك
چورچ إسحق
سامح فوزى
هانى لبيب
سمير مرقس

دراسات ومقالات حول الدكتور وليم سليمان قلادة
بمناسبة الذكرى السنوية الأولى لرحيله - سبتمبر ٢٠٠٠

اهداءات ٢٠٠٢

د/أحمد عبد الله رزة

وليم سليمان قلادة
مدرسة الوطنية المصرية

طارق البشرى
محمد سليم العوا
أحمد عبد الله
رشدى أبو الحسن
چورج إسحق

أنور عبد الملك
رفعت السعيد
جمال الغيطانى
موريس أسعد
سامح فوزى
سمير مرقس

الأنبا موسى
نبيل عبد الفتاح
محفوظ عبد الرحمن
مينا بديع عبد الملك
هانى لبيب

دراسات ومقالات حول الدكتور وليم سليمان قلادة
بمناسبة الذكرى السنوية الأولى لرحيله

سبتمبر ٠

اسم الكتاب : وليم سليمان قلادة مدرسة الوطنية المصرية
المؤلــــف : مجموعة من الكُتاب
الناشــــر : أصدقاء د. وليم سليمان قلادة وأنجالــه
الغـــلاف : مكتب سكاننج هاوس لفصل الألوان ت. : ٢٤٧٠٢٥٠
المطبعــة : الدار المصرية للطباعة ت. : ٢٩٩٥٧٠٨
رقم الإيداع : ٢٠٠٠/١٤٧٩١

كلمة الأسـرة

وليم سليمان قلادة ... الوالد

فى عـام ١٩٦٨ ، أهدى والدنا وليم سليـمـان قـلادة كـتـابه «الكنيسـة المصرية تواجـه الاستعمار والصهيونية» إلى أبيه سليمان قلادة قائلاً :

إلى أبى ...

إنساناً طيباً يعيش من عمل يده

كانت هموم مصر هى همومه الشخصية

وشارك وسط الجماهير الثائرة فى النضال الوطنى

وقدم مع الملايين التضحيات اليومية التى صنعت لهذا الوطن اسمه فى التاريخ

وأثناء هذا كله كان شماساً فى الكنيسة القبطية .

عام مر على رحيل والدنا ، نحاول أن نكتب عنه فلا نجد أغنى من تلك الكلمات التى كتبها أبى نفسه عن أبيه لنقول بإيجاز من هو وليم سليمان قلادة .

نعم . . كان والدنا إمتداداً غنياً لهذا الجد الطيب ... عاش أيضاً من عمل يديه ، سنوات طويلة عمل بالقضاء ، وسنوات أطول فى البحث والتنقيب والكتابة .

عـمل كثيراً وإمتلك قليـلا لكنه عـاش قانعـاً سعيـداً ، قناعـة العـالم الذى يعى القيـمة الحقيقية لعمله ، ويعلم أن صنيعه هو إنجاز مضاعف لإنجازات المخلصين إلى هذا الوطن من أجل نموه وسعادة شعبه . عاش زاهداً فى مظاهر الحياة الفخمة المتغطرسة ، فأثاث منزله ظل كما هو منذ أن تزوج أمنا ، بسيطاً عملياً ، أغلى حجرة فى منزلنا كانت مكتبة أبى التى ذخـرت بأهم الكتب فى التـاريخ ، والفلسـفـة ، واللاهوت ، والدراسـات الإسـلامـيـة ، والعلاقات المسيحية الإسلامية ... وهى الحجرة التى لم نشهدها أبداً فى حالة من النظام أو التنسيق رغم أننا كنا نستخدمها فى الوقت ذاته لاستقبال ضيوفنا ، فقد غطت الكتب

والجرائد أرضيتها بالكامل ووُضعت الكتب تحت كل الكراسى والأريكة. وعندما أيقنت أمنا أنه لا سبيل لترتيبها صنعت غطاءاً للكراسى والأريكة ليُحجب عن الجالسين مشهد الكتب التى تحت أرجلهم لم تكن تتذمر بل كانت دوماً عوناً له لإنجاز ما وهب نفسه لأجله. وكم شهدت هذه الغرفة ضيوف أبينا من الباحثين والمفكرين والصحافيين وطلاب الدراسات العليا وحواراتهم الساخنة التى كانت دائماً تمتد إلى الساعات الأولى من فجر اليوم التالى. لم تكن حوارات تلك الليالى سلسلة من الكلمات والتعبيرات التى تخرج من فم أبى بل كانت طاقة تخرج من جسده وعقله وقلبه. كما كان أحد أصدقائه يصفه عندما يتكلم قائلاً "أن كل جسده يتكلم ليكمل ما لم تستطع اللغة أن تتمه".

غطى أبى جدران هذه الحجرة بمجموعة جميلة من الأيقونات المسيحية التى جمعها من كل مكان فى العالم ذهب إليه، لم يكن يضع تلك الأيقونات كى تزين الجدران. لقد كان له معهم حوار دائم وصلاة، يحكى لك عن تاريخهم فتحس وكأن الحياة قد دبت فيهم وكأنهم شخوصاً حية يجلسون معك ويعطونك بعضاً من روحهم الجميلة لتواجه بها قسوة الدنيا خارج تلك الحجرة.

عاش والدنا ومات قبطياً مصرياً حتى النخاع. قبطيته ومصريته هما ذاك الهم النبيل الذى أثقل قلبه طوال حياته. أستخلص أبى من قبطيته ومصريته سماته المميزة: الرجاء والجهاد والصبر. فعند أصعب اللحظات تجد لديه الرجاء الذى هو يقين المؤمن، لكن رجاء أبى لم يكن يقيناً غيبياً، كان يقين شخص يعمل ويجاهد فى صبر وطول أناة لا يعرف اليأس والإحباط، يعلم أنه لن يرى نتائج عمله لكن الرجاء يجعله يرى المستقبل البعيد السعيد واقعاً يستطيع أن يتلمسه بكامل حواسه يجعله كل يوم يصنع البدائل الجديدة ليخرج بها من الدائرة العبثية العدمية الخبيثة التى يدخلنا الواقع فيها، يجعله يعمل بصبر فى التفاصيل الدقيقة بلا ملل.

الرجاء جعل والدنا يذهب إلى المستشفى فى أيامه الأخيرة ومعه حقيبة كبيرة للكتب التى كان يعمل بها لإعداد آخر بحث كُلف به من قبل كلية الأقتصاد والعلوم السياسية.

بل أكثر من هذا لقد أخذ هذه الحقيبة إلى غرفة الإنعاش عله يستطيع إنجاز أى شئ من

البحث فلا يضيع الوقت هباءاً، ومات أبى داخل هذه الغرفة الكئيبة ليعلمنا الدرس الأخير ... الرجـــاء.

نحن ثلاث أخوة من الذكور أبناء وليم سليمان قلادة بالجسد وهبنا كل ما إمتلك، كما نعلم أن لنا أخوة وأخوات هم ليسوا أبناء وليم سليمان قلادة من الجسد وإنما هم أبناؤه بالتعلم، أعطاهم من روحه وعقله وقلبه الكثير. لذا فوالدنا لم يمت بل هو حى فينا وفيهم وفى ضمير هذا الوطن الذى عشقه حتى النهاية.

متـــى

ورؤوف

ونبيـــل

وليم سليمان قلادة

مقدمــة

وليم سليمان قلادة

شخصه وفكره .. مقاربة أولية

سمير مرقس

(١)

ملامح أساسية

وليم سليمان قلادة، أحد الذين وهبوا حياتهم لخدمة هذا الوطن فى هدوء وزهد، شأنه شأن الكبار من المفكرين والعلماء الذين يصبحون كباراً بعلمهم وجهدهم وإنجازاتهم، وليس بغير ذلك. وفى كل مجال إمتدت إليه جهوده أنجز وأضاف، فعلى المستوى المهنى كقاضى ومستشار كانت العدالة عنوانه ونهجه، كما أسس فى مجال العقود ما يمثل نقطة نطلاق وريادة لمن بعده، وفى المجال الفكرى أسهم بالكثير من المساهمات صبت كلها فى التعريف والتأريخ والتأصيل لحركة الجماعة الوطنية المصرية لنيل حقوقهم، وفى المجال الكنسى استطاع أن يبرز دور الكنيسة القبطية والأقباط على الخريطة التاريخية والحضارية للمصريين بتراثها وخصائصها ووطنيتها، هذا هو وليم سليمان قلادة، وهذه عناوين رئيسية لما أنجز مهنياً وفكرياً وكنسياً. وربما من المفيد قبل الحديث عن بعض من مشروعه الفكرى أن نحاول الأقتراب منه على المستوى الشخصى لرسم صورة من قريب عنه.

ملامح ثلاثة يمكن أن تجمل صورة د. وليم وذلك كما يلى:

- الملمح الإنسانى.
- الملمح الخاص برسالته وإلتزامه الرئيسى فى الحياة.
- الملمح الخاص بمنهجه الفكرى.

بالنسبة للملمح الإنسانى فسوف نجد ***الأبوة - المسئولية*** الملمح الأبرز، الأبوة التى تجلت فى حرصه على الآخرين تمدهم بالنصح والمشورة والسؤال الدؤوب عن أحوالهم ودعمهم بكل ما من شأنه أن يهبهم النمو فى حياتهم، فما يكون من هؤلاء سوى أن يتشجعوا فيطلبوا المزيد فلا يردهم وإنما يواصل ما بادر به، فكان بيته مفتوحاً للجميع فى أى وقت يمكن أن يلتقوه بدون تعقيدات أو «بروتوكولات»، لذا كان بيته مقصداً لمن يبحث عن توجيه وإرشاد، وكانت مكتبته بالطبع متاحة للباحثين والمثقفين. لقد كانت محبته تسع الجميع من واقع مسئوليته عنهم، فلم يكن عسيراً أن تلمح شعوره بالمسئولية نحو كل من يقصده.

أما عن الملمح الخاص برسالته وإلتزامه الرئيسى فى الحياة، فإننا نجد فيما نجد، ***المصرية***، الملمح اللافت، فى كل ما ينطق به، فنراه يتحدث عن التجربة المصرية وعن الخبرة المصرية بالفخر والإعتزاز، ولما لا، وهى التجربة - الخبرة الجديرة بأن يحفظها كل مصرى وأن يتعلمها ويحدث بها ويستعيدها فى حاضره ضمانة لمستقبل أفضل. فنجده يتحدث عن المصريين فى العصر القبطى بنفس الحماس والإعتزاز فى عصور الحكم الإسلامى، وعن المصريين فى العصر الحديث، فهم الذين قاموا بمواجهة المحتل الرومانى والحاكم الوافد والمستعمر الغربى، وهم الذين قاموا بالهبات المتتالية ضد الرومان حتى الاستشهاد، وبثورة البشامرة، وبثورة ١٩١٩. كذلك يتحدث عن أثناسيوس الرسولى البابا العشرين، وصاحب أهم إنتاج لاهوتى أنتجته المسيحية، كما يتحدث عن فقه الليث بن سعد بإعتبارهما نتاجاً مصرياً فذاً. ونراه كيف يرى مصر فى طقوس كنيستها المصرية وفى التقليد الإسلامى المصرى بذكر فضائلها ويقدم لنا كل من ساويرس بن المقفع وعبد الرحمن بن عبد الحكم والطهطاوى وميخائيل عبد السيد وغيرهم، بإعتبارهم إمتداداً وتواصلاً وتلاقياً للمصرية وتجسيداً لها.

أما الملمح الثالث والذى حكم تناوله البحثى ومعالجته للموضوعات المختلفة التى تطرق إليها هو المنهج الفكرى الذى إعتمد على مرتكزين أساسيين: ***الفكر واللاهوت***، وأقصد بذلك كيف استطاع أن يمزج بين التجديد الفكرى والإجتهاد اللاهوتى فى مقاربته لكثير من الموضوعات. فها هو يقترب من مبحث «الإنسان» فكرياً ولاهوتياً. كذلك «الحوار» فى بعديه الدينى - المطلق والإنسانى - الزمنى، وغير ذلك من مواضيع وبهذا تميز

عن كثيرين الذين يعتمدون القطيعة بين الفكر واللاهوت لأسباب وحجج متنوعة ، بينما د. وليم سليمان قلادة استطاع أن يتجاوز هذه القطيعة بالنفع المتبادل بين الفكر واللاهوت فى دراسات ثرية .

(٢)

قراءة أولية للمشروع الفكرى للدكتور وليم سليمان قلادة

الكلمة المفتاح فى المشروع الفكرى للدكتور وليم سليمان قلادة هى ***«حركة الجماعة المصرية»*** ، حث أخذ يدرس بداياتها ومسارها التاريخى وطبيعة العلاقة بين مكوناتها ونضال هذه الجماعة فى الحصول على حقوقها . وقبل ذلك يؤكد على كلمة «حركة» فهى «مقصودة وهامة»، ذلك أن وصول الجماعة الوطنية إلى أى إنجاز أو إجماع لا تكون له قوة وفاعلية إلا إذا كان نتاج حركة على صعيد الواقع . وإنطلاقاً من دراسة الجماعة الوطنية المصرية فى إطار الحركة ، كان يعتبر تاريخها " ظاهرة إنسانية فذة " ، حيث استطاعت أن "تعبر مئات السنين من المعاناة المتنوعة التى تفكك أوصال التكامل الشخصى والإجتماعى " ، وتخرج الجماعة من المعاناة دوماً بدرجة من الوحدة والإندماج، الأمر الذى يحتم البحث عن أسباب ذلك . وكان مضمون البحث والدراسة هو تتبع جهود الإنسان المصرى فى حركته نحو الحصول على مكانه تتدعم بها الجماعة فى النهاية أو ما أصطلح على أن يسميه بالمواطنة التى تعكس على أرض الواقع أمرين : المساواة والمشاركة، انها المكانة، مساواة بين الإنسان وبين باقى عناصر هذه الجماعة والمشاركة أى لعب دور لنهوضها (الجماعة)، وبذلك يتم الإعلان عن ميلاد الإنسان - المواطن .

وكانت دراسة مقومات الكيان المصرى هى الدراسة الأساس - البنية الأساسية - التى قام عليها مشروعه الفكرى، أو بحسب تعبيره "هى بمثابة البيئة الحاضنة التى تنمو فيها شجرة المواطنة " . فالجماعة الوطنية المصرية من خلال حركتها عبر التاريخ هى موضوع البحث والدراسة وهدف هذه الحركة هو بلوغ المواطنة ، والمواطنة لا يمكن أن تتحقق ما لم تكن هناك مقومات ما متوفرة تعين على ذلك . وقد استخلص د. وليم هذه المقومات من التاريخ ، "فالمتابع المتأنى للتاريخ المصرى يجد أمامه معطيات طبيعية وبشرية وتنظيمية

وحضارية مستمرة ومتطورة صارت هى العناصر التكوينية للكيان المصرى، هذه المقومات تستقر أكثر عمقاً وتجذراً من المفهوم التقليدى للبنية التحتية. ولم تنشأ هذه المقومات دفعة واحدة بل هى ثمرة تراكم وتطور استمر أجيالاً متعاقبة اتسم بالحركة المستمرة وبالحياة المشتركة بين أعضاء الجماعة. وصقلت هذه المقومات رغبة أعضاء الجماعة على التحرك المشترك والحياة المشتركة وذلك بمواجهتهم للتحديات الداخلية والخارجية. وحدد د. وليم سليمان قلادة هذه المقومات فى سبعة مقومات وذلك كما يلى:

١- الجغرافيا أى الأرض (مصر).

٢- البشر (المصريون).

٣- المشروع المصرى.

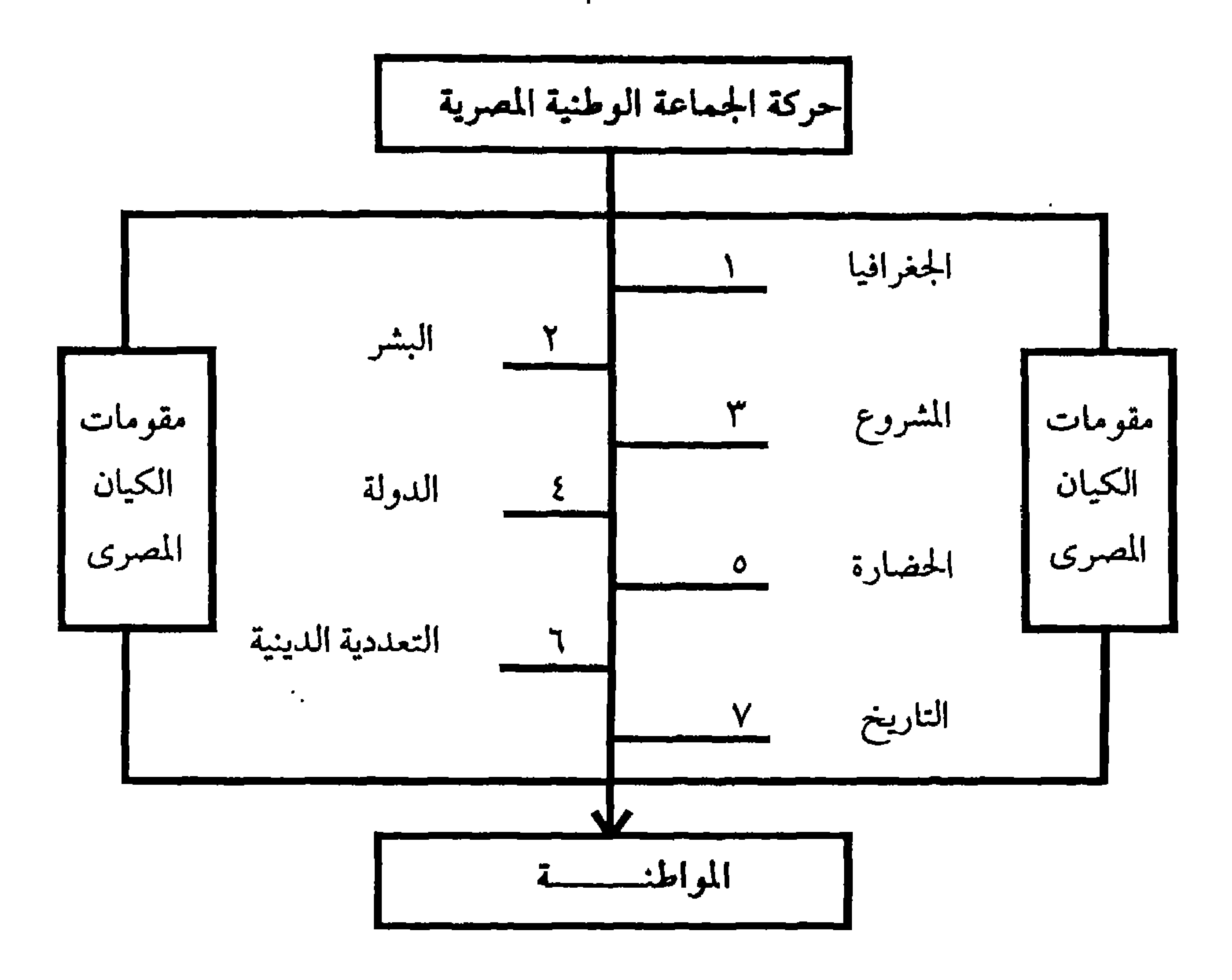
٤- الدولة.

٥- الحضارة.

٦- التعددية الدينية.

٧- التاريخ (المسار الذى استوعب المقومات الستة السابقة - أو حركة المصريين).

شكل رقم (١)

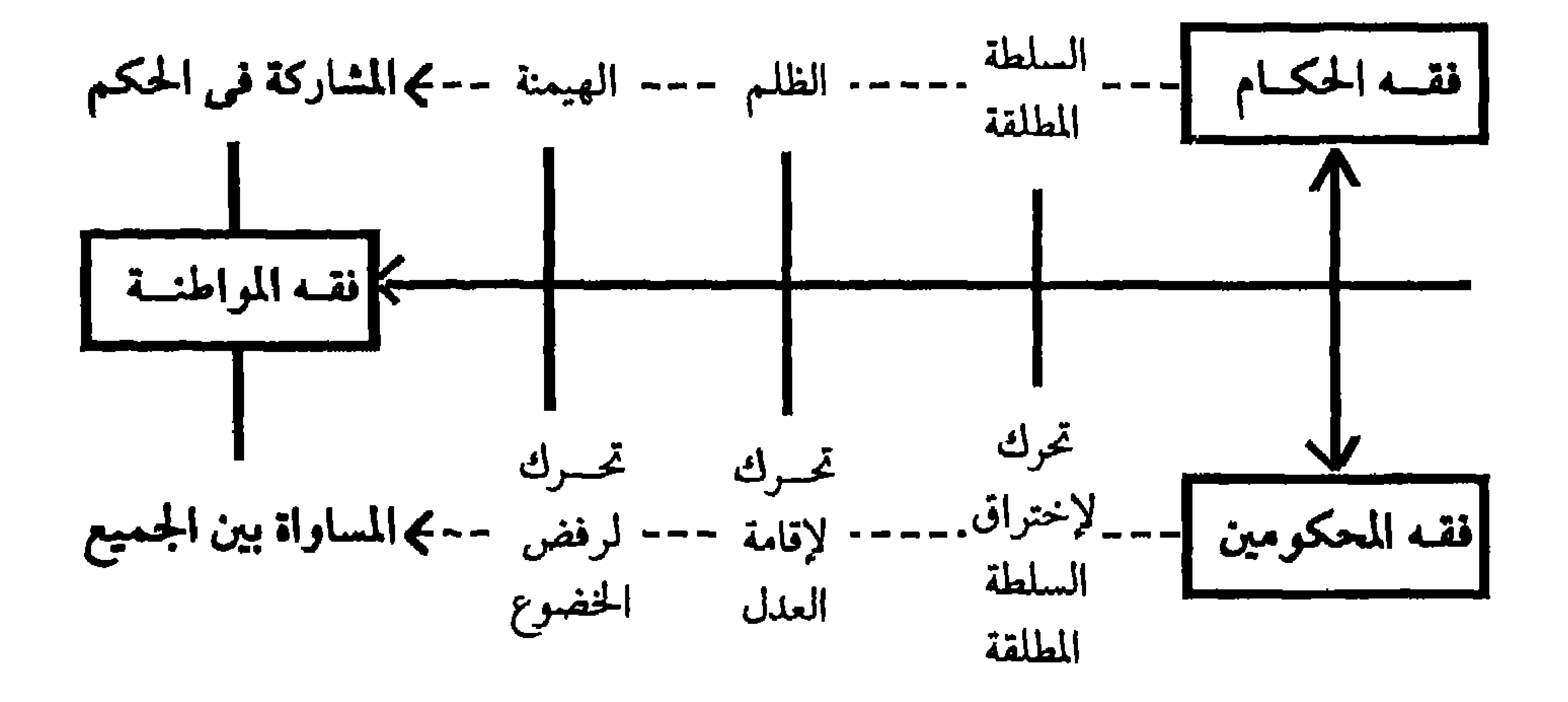


لقد ركز د. وليم فى متابعته لحركة الجماعة الوطنية المصرية على نضال أعضائها فى استخلاص الحقوق السياسية، ومن ثم حاول تتبع ما أسماه الحركة الدستورية من خلال مسار الحركة الوطنية. فالدستور لديه ليس نصاً أو وثيقة بقدر ما هو تعبير عن إنجاز تحقق على أرض الواقع. وفى هذا السيـاق استطاع أن يضع أفكاره الجـوهرية والتى تميـزت بمفردات ومصطلحات تنسب إليه، وبمنظومة تتسق مع رؤيته العامة، مفادها أن ثمة حقيقة أساسية فى التاريخ المصرى وهى أن هناك «إنفصالاً قاطعاً» بين الحكام والمحكومين، استمر على مدى مئات - آلاف السنين، فهناك خطاً أفقياً حاسماً - حاجزاً - يقسم المجتمع المصرى إلى شريحتين: أعلى الخط الفاصل يجثم الحاكم، يتمسكون بأسانيد يمارسون على أساسها إخضاع المحكومين ويبررون بها فى مواجهتهم سلطتهم ويستندون فى شرعية حكمهم إلى ما أسماه «فقه الحكام».

وأسفل الحاجز يقر المحكومون «أهل الأرض» بجميع مكوناتهم، حيث لهم مفاهيمهم وتوجههم وعلاقاتهم ببعضهم البعض وبالحكام. وهم ليسوا قابعين أسفل الحاجز فى سكون، بل ثمة حركة تتراكم مقوماتها الجغرافية والإنتاجية والحضارية والفكرية - ينهض بها المحكومون وتنطلق من شعورهم بالظلم الذى يمارسه عليهم الحكام فيرفض المحكومون الخضوع لفقه الحكام ويصممون على إختراق حاجز السلطة. ويقوم بين المحكومين عقد إجتماعى صريح أو ضمنى يقر حقوقهم وإلتزاماتهم فى المستقبل على أساس المشاركة والمساوة وهذا ما أسماه «فقه المحكومين».

وهكذا عرفت مصر «فقه المحكومين» فى مقابل «فقه الحكام»، الأول يريد أن يخترق حاجز السلطة، والثانى يؤبد البقاء فى الحكم، وكان جهد المحكومين المشترك عبر التاريخ والتى تجلت ذروتها فى القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين هى بداية لميلاد ما أسماه «بفقه المواطنة» التى هى تتويج لحركة المحكومين فى أن يتحولوا إلى مواطنين من خلال المشاركة والمساواة، إنه بدء العمل بإنطلاق مشروع وطنى للنهضة وإعمال مضمون العقد الإجتماعى الذى توافق عليه المحكومين أثناء حركتهم التاريخية.

شكل رقـم (٢)



(٣)

العلاقات المسيحية - الإسلامية وقواعد الحوار

وفى مقاربتنا الأولية للمشروع الفكرى للدكتور وليم سليمان قلادة، وبحسب ما تسمح به حدود هذا الكتاب التذكارى، لا نستطيع أن ننسى ريادته فى التعاطى مع موضوعى العلاقات المسيحية الإسلامية فى مصر والحوار. واستطاع أن يسهم بإجتهادات تأصيلية فى هذين الموضوعين، فإنطلاقاً من بحثه فى تاريخ الجماعة الوطنية، وجد أن الحياة المصرية نجحت فى استيعاب المسيحية والإسام فكانت التعددية الدينية، التى كان لها خصوصية دخلت فى جدل مع التجانس ويمثله الأرض وسيادة العرق المصرى الواحد ووسيلة إنتاج رئيسية ودولة ذات نظام سياسى يتسم بالوحدة السياسية. فلم يبتلع التجانس التعدد من خلال هيمنة أحد المطلقين لمحى وجود الآخر، ولا صار التعدد كاسحاً يكرس الفرقة. ولكن الحياة المشتركة الإجتماعية والإنتاجية الثقافية والحضارية حالت دون حدوث الاستقطاب وأفرزت بديلاً ثالثاً - غير الاستيعاب والاستبعاد المتبادل - هو الحياة المشتركة من خلال «جدل التجانس والتعدد»، حيث الإحتفاظ بالمقومات «الواحدة الموحدة» ولا يُنفى وجود الآخر، فالجماعة باتت تحيا التعدد على أرض الوحدة، إنه «تعايش المطلقات».

وفى هذا الإطار تمكن د. وليم أن يضع قواعد أربع للحوار تمثل بحق إجتهاداً نظرياً راقياً غير مسبوق ومرجعاً أساسياً فى هذا المضمار حدد فيه قواعد الحوار كما يلى:

١ - عن الآخر.

٢- عن الشخص.

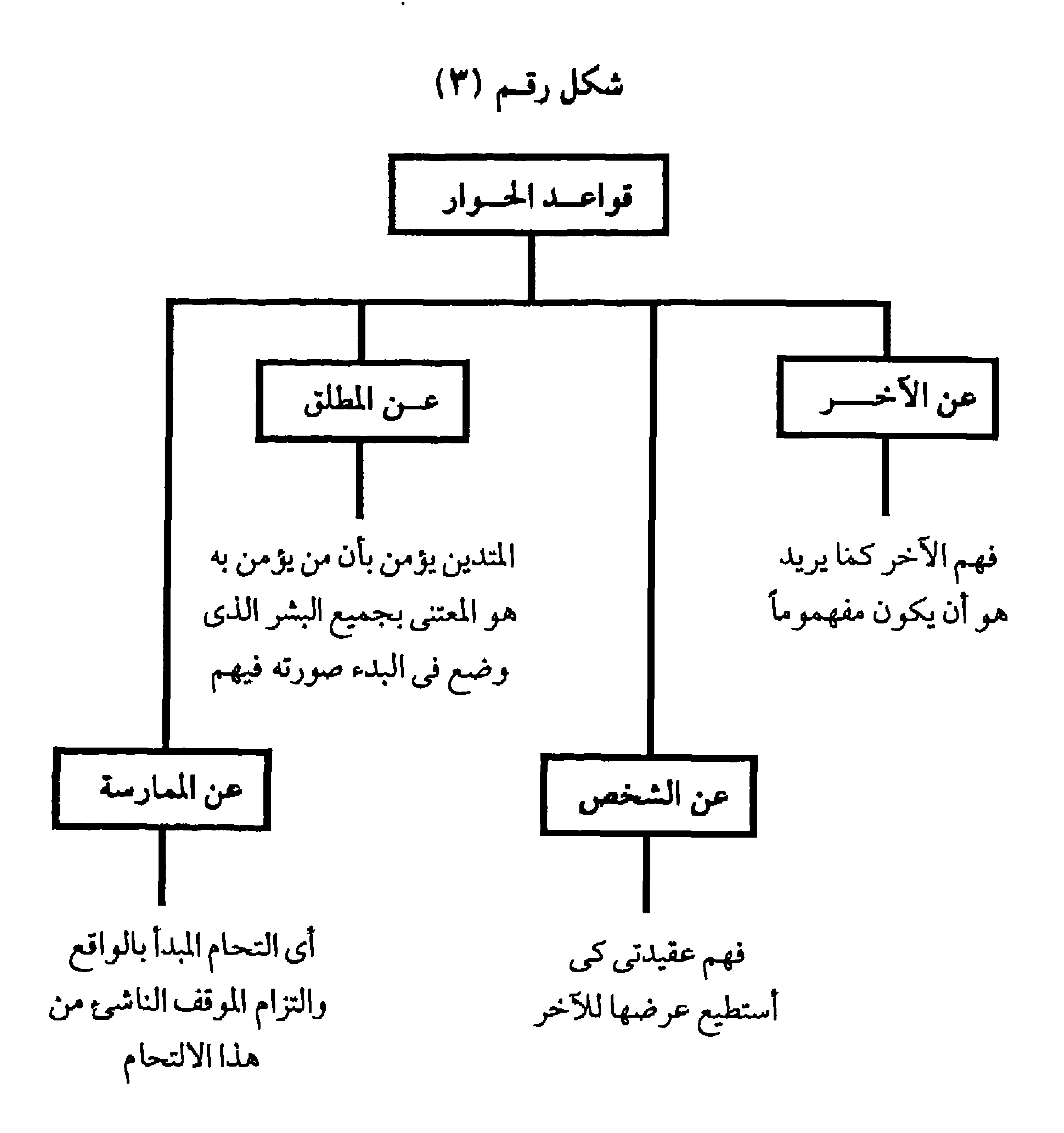
٣- عن المطلق.

٤ - عن الممارسة.

وحدد هدفه من هذه القواعد وهو ترسيخ الحياة المشتركة وتعميق العلاقة بين مكونى الجماعة، الوطنية، فنقطة البداية فى الحوار أن ثمة إنسانية مشتركة تجمع الطرفين، فمن

أحاوره - مهما يكن جنسه ولونه وإنتماؤه الدينى - إنسان على صورة الله وخليفة له، مثلى، وسوف نوجز مضمون كل قاعدة من قواعد الحوار فى الشكل التالى:

شكل رقم (٣)



(٤)

حمل الوطن داخله حتى النهاية

وبعد، لم يكن ما سبق سوى مقاربة أولية لشخص وفكر الدكتور وليم سليمان قلادة أتمنى أن تسمح الظروف لى ولآخرين أن نقدم قراءة موسعة تفصيلية وشاملة لهذا الرجل. بيد أن أهم ما ينبغى التأكيد عليه فى الختام هو أن د. وليم سليمان قلادة كان تعبيراً حياً لكل ما آمن به من أفكار ولكل ما كتب، فلقد جسد فى حياته اليومية الاستمرارية الحضارية التى كتب عنها كثيراً؛ حمل التراث القبطى فى الفن والقانون والتعاليم والطقوس والموسيقى والإبداع اللاهوتى، والاستقلال الوطنى، كما حمل التراث الإسلامى بفقهه المصرى الثرى بتعبيراته المذهبية المتنوعة. وعلى المستوى السياسى والإجتماعى حمل تراث ١٩١٩ الذى مثل ذروة سياسية فى حركة المحكومين مارسوا فيها المواطنة كما آمن بالعدالة الإجتماعية لثورة ٢٣ يوليو. هذا بالإضافة إلى إيمانه الراسخ بأن هذا الوطن لديه من المقومات الكفيلة بأن تقيمه من عثراته وتحقق له مستقبلاً زاهراً، لذا لم يكن غريباً أنه ورغم توالى الأحداث الطائفية فى الثلاثين سنة الأخيرة إلا أنه لم يفقد إيمانه بهذا البلد ولا بقدرته على تجاوز أى عائق يعوق الجماعة الوطنية عن مسيرتها، فلم يفقد الأمل ولم يحد عن إيمانه بالمواطنة وحارب بكل ما أوتى من فكر ووقت وجهد الذين أرادوا وصف الأقباط بالأقلية (وربما يأتى وقت تروى فيه جهوده فى مواجهة مؤتمر الأقليات) أو استعادة مفاهيم وممارسات الملة. هذا بالإضافة إلى الاستقامة الذهنية والأخلاقية وبساطته وتواضعه، (ونأمل أن نكتب بالتفصيل عن هذه الجوانب مستقبلاً).

إن ما نقدمه فى هذا الكتاب هو محاولة لتذكر بعض من مآثر الراحل العزيز فى ذكراه السنوية الأولى، فقمنا بتصنيف ما كتب عنه بعد رحيله وترتيبه بشكل يضع صورة متكاملة عنه، كذلك إجتهدنا أن نكتب سيرة ذاتية تفصيلية وثبت بكل إسهاماته الفكرية ونأمل أن نواصل ما إقترحه البعض من إعادة إصدار بعض كتبه التى نفذت وإصدار ما لم ينشر وتخصيص جائزة باسمه تحمل عنوان المواطنة ونحن نشكره كثيراً على ما قدم مثلما كان يشكر هو كل من ساعده فى حياته.. فلقد أحب العلم لوجه الله من أجل الوطن...

أولاً : قراءة فى المشروع الفكرى
للدكتور وليم سليمان قلادة

- صفحات من كتاب المصريين. أ. طارق البشرى.
- المواطنـــة فى القلـــب. د. أنور عبد الملك.
- فى وداع وليم سليمان قلادة. د. محمد سليم العوا.



وليم سليمان قلادة الذى عرفته :

صفحات من كتاب المصريين(*)

طارق البشرى

فى ظنى أن الراحل الدكتور وليم سليمان قلادة كان يشكل تعبيراً عن واحدة من ركائز الفكر السياسى، الذى تقوم عليه الجماعة الوطنية فى مصر. ووليم فى حياته الفكرية ونشاطه العام، لم يكن قط إلا خادماً بإخلاص وفى نسك لجماعتيه اللتين منحهما كل جهده الفكرى وقدراته الثقافية، وهما جماعته الدينية القبطية الأرثوذكسية الخاصة من رعايا الكنيسة المصرية، وجماعته السياسية المصرية الوطنية العامة.

وهو لم ير أبداً تعارضاً بين هاتين الجماعتين رغم إختلافهما في التكوين إختلاف خصوص قبطى، وعموم مصرى، يضم مسلمين وأقباطاً، وهو لم ير تعارضاً بين هذين الوصفين فى نفسه، من حيث صفاء إنتمائه لهما ووجدانيات إرتباطه بهما. وظل على مدى عمره كله حتى نهايته لا يكاد يشغله من شواغل دنيانا إلا هذان الأمران، وذلك بما كتب ودرس وبما حققه من كتابات السابقين فى الفكر الدينى القبطى، وعلى رأس ذلك كتاب «الدسقولية» أو تعاليم الرسل، وبما كتب وإجتهد فيه ليضع تصوره الفكرى للجماعة السياسية المصرية، وبما كتبه وقرره وثبته من موجبات حماية قوة التماسك الوطنى لدى المصريين مسلمين وأقباطاً.

لم يعمل وليم بالسياسات الجارية فيما أعلم، إنما إنشغل بالفكر السياسى فى شأن الجماعة السياسية وتكوينها، وقد تكون بعض تصوراته فى هذا المجال مما يجرى بشأنه الإختلاف، ولكن لا يرد خلاف قط يتعلق بالموقف الفكرى الوطنى، الذى كان دائماً وصفاً ملازماً للمواقف الفكرية السياسية له. كما لا ترد شبهة حول أن مجال الخلاف

(*) وجهات نظر، العدد التاسع، أكتوبر ١٩٩٩، ص ٤٠-٤٣.

الفكرى إنما يدور فى إطار الإجتهادات التى تتبادل الإحترام والثقة، والتى تتغيا دعم قوة التماسك لدى الجماعة السياسية والنأى بها عن المخاطر الخارجية وتحقيق المساواة بين أفراد المواطنين.

ووليم شديد التأنى فى البحث وفى الكتابة، قال لى مرة أنه حقق الدسقولية ودرسها وعلق عليها على مدى عشرين سنة، ينظر فيها ويدعها، ثم يعود إليها بأناة وتقليب للأمور، وإستغرق شهوراً فى دراسة أحد الكتب لعرضها والتعليق عليها، وهو كان فى ذلك مدققاً متأنياً يقلب الأمور ويعيد النظر فيها المرة بعد المرة، ولذلك فكتاباته قليلة العدد قليلة الصفحات نسبياً، ولكنها دائماً تشعرك أنها ليست بحوثاً، ولكنها خلاصات بحوث، ولذلك فهى مما يستعصى على الإختصار.

فى أوائل شهر يونيه الأخير ١٩٩٩، إتصل بى الأستاذ الصديق سمير مرقص، وهو ينشغل فيما ينشغل بإدارة المركز القبطى للدراسات الإجتماعية، وطلب إلى أن أكون المتحدث الأساسى فى إحتفالية يعدها المركز للدكتور وليم فى ١٧ يونيه بمناسبة بلوغه الخامسة والسبعين. ولبيت الدعوة سعيداً بها، وكانت أمسية جمعت صفوة من مفكرى مصر من أحباء المحتفى به، وسادها شُعور حميم بالمودة الصادقة.

هَنئ بها وليم وهَنئنا جميعاً بها، أدارها الأنبا موسى الأسقف العام للشباب بالكنيسة القبطية، وختمها الدكتور وليم بحكايات كثيرة ظل يحكيها، وهى تدور كلها حول المعنى الذى بدأ به حديثه، وهو أنه يدين بكل شئ فى حياته للمصريين جميعاً، ممن عرفهم وتعامل معهم فى كل من مراحل حياته، يذكر ذلك فرحاً بأن وقائع حياته تثبت تصوراته الفكرية عن الطابع الخاص للمصريين فى علاقاتهم مع بعضهم البعض.

لم نكن ندرى طبعاً أننا بهذه الأمسية إنما نودع وليم، ولا كنا ندرى ونحن نتكلم عنه أننا لا نحتفل به فقط فى عيده الماسى، ولكننا كنا نحتفل بنهاية حياة نافعة لوطنى مخلص ولإنسان شريف، ولنشاط فكرى جعلنا أكثر تماسكاً وأغزر مودة وأفسح صدراً. وللموت أثر عجيب فى تقييم الرجال، به ينتهى العمر، وعلى الفور تبدو حياة الشخص كلها مبسوطة أمام الأحياء، لم يعد يشغلهم حاضره القريب فقط، ونوع المسائل التى ينشط

فيها، إنما صار كل نشاطه على مدى العمر كله حاضراً مبسوطاً بمفرداته كلها وبأفكاره كافة . ومن هنا تبدو جملة الأثر المنتج .

وأنا عرفت وليم بالسماع أولاً فى محيط العمل القانونى المهنى الذى ضم كلينا فى الخمسينيات . كان قد نال درجة الدكتوراه فى بعض مباحث القانون المدنى، وهو يعمل بالشئون القانونية بوزارة الدفاع، ثم عين بمجلس الدولة عندما أعيد تشكيل المجلس فى عام ١٩٥٥ ، وتكونت فيه هيئة مفوضى الدولة التى قدر لها فى التنظيم الجديد أن تعد القضايا وتستوفى أوراقها وتعد بحثاً قانونياً فى المسائل التى يثيرها النزاع المرفوع، وتقدم كل ذلك إلى المحكمة لتعينها على بحث مشاكل النزاع . وعين وليم بالمجلس فى التشكيلات الأولى لهذه الهيئة .

ونيط به العمل بهذه الهيئة فى دعاوى «العقود الإدارية»، وهو مجال له صلة وثيقة بالقانون المدنى . وكان د . وليم من الشباب الذين لمعوا فى هذا المجال الذى يحتاج إلى جهد ودأب وتوثيق وإثبات وقائع، مع عقلية قادرة على الاشراف النظرى، مع طاقة للإبداع الحذر . واستمر سنين طويلة فى هذا المجال الذى أكسبه علماً ومهارة فنية وعُرف به بين زملائه، ولا أريد أن أثقل على القارئ بذكر نوعيات عمل وتفاصيل فنية قد لا تثير إنتباه المتخصص .

ولكن يكفى أن أقول أن هذا المبحث من مباحث القانون الإدارى كان لايزال فى حال النشأة والتكوين فى مصر، الأمر الذى يحتاج إلى جهود مضاعفة، ولعل وليم كان من أقل الناس تحركاً بين أقسام العمل القضائية، لأنه ما إن يعمل بمجال معين، حتى يتمسك به ذووه .

ويلغ الستين من عمره فى عام ١٩٨٤ ، وكنا فى هذه السنة زملاء فى دائرة واحدة من دوائر المحكمة الإدارية العليا، وإلتقينا فى العمل قبل ذلك فى ١٩٧٧ ، وهو مفوض دائرة العقود وأنا عضو بالدائرة ذاتها، وكنت أقصيت عن دائرة أخرى فى السنة ذاتها لأسباب تتعلق بالتمسك بالرأى، وكنت فى كلتا الفترتين أجد فيه العمل بدقة دائبة، وسعياً للاستيثاق بغير كلل ولا ملل، وصبراً عجيباً أظن أن كثيرين لا يملكونه بهذا القدر دائماً .

ووليم مع دأبه وطول أناته فى البحث وحذره فى التدقيق، يقابل ذلك كله بالإصرار على ما ينتهى إليه من رأى، إصرار يبدو مجابهة أحياناً، كما يبدو فى أحيان أخرى متتابع الحلقات، تتخلله فترات من الهدوء ثم المعاودة، وهكذا بغير كلل ولا ملل ولا يأس. وكان فيه من خلق الرهبان، أخال أن الراهب له تجربة في الخلاص والنقاء والإعتياد على الإحسان، تجربة أياً كان مبلغه فيها، إلا أنها تجربة ذاتية بحتة وفردية تماماً، وهذا النوع من التجارب يخرج به الإنسان معتاداً على العمل الفردى، فلا يكاد يطمئن إلا لما تنتجه يمينه وإلا ما ينشأ على الصورة الدقيقة لما إنتجته يمينه.

بدأت علاقتنا الشخصية خارج إطار مجلس الدولة، مع رهط من الأصدقاء يتراوحون فى مجال الفكر السياسى، بين الوطنيين الراديكاليين والعروبيين الوحدويين والاشتراكيين غير الماركسيين، والماركسيين، أقوام من كل من هؤلاء لا يجمعهم سياج حزبى، ولكن تتعدد توجهاتهم، وتتنوع مشاربهم الفكرية، وتتباين علاقاتهم الشخصية بين الوثوق والتفكك، ولكن يجمعها نطاق وطنى عام، وإبتغاء التحرر الوطنى وتصور مثالى بأن يصير وطننا هو مدينتنا الفاضلة، وكل ذلك مع نظر علمى إلى الواقع، وسعى للإلتزام بمناهج البحث الواقعية.

وكنا بين التاريخ والسياسة، وبين الشعر والنثر، وبين الأدب والإقتصاد، وبين السماء والأرض، وبين الروح والمادة فى فكرنا ووجداننا، نتراوح ونتنوع، وتختلف فينا المقادير والنسب، كما تختلف أنماط العلاقات، كما كنا فى إهتماماتنا بين الفكر السياسى والتاريخ والأدب والموسيقى والسينما وفنون التشكيل، بمحاولات إنتاج وممارسات تذوق وثرثرات لا حد لها.

كانت المجلات الشهرية الرائجة بين المثقفين ذوى الإهتمامات السياسية، هى مجلة «الطليعة» ومجلة «الكاتب»، فضلاً عن الدوريات غير السياسية مثل «المجلة»، وما يصدر عن الشعر والقصة والمسرح، وفضلاً عما يرد من بيروت، وما أدراك ما بيروت فى الخمسينيات والستينيات، وكتبت أنا فى الطليعة والكاتب دراساتى التاريخية الأولى، ولقيت وليم خارج مجلس الدولة فى صفحات الطليعة، وفى مجالس الأصدقاء. وكانت مجلة «الطليعة» يغلب عليها الطابع الماركسى، ولكنها كشأن أى من إصدارات دار الأهرام لا ينحصر أى من هذه الإصدارات فى نطاق تيار واحد.

كان المسيحيون ممن نقرأ لهم أو نعرفهم بأشخاصهم ونتحاور معهم وقتها، سواء فى سياسة أو أدب أو فن، كانوا ممن لا تدرك مسيحيتهم فى ظاهر أعمالهم وظاهر أقوالهم، ولكن وليم كان بين هؤلاء شخصاً مختلفاً، كان قبطياً من أتباع الكنيسة المصرية الأرثوذكسية، كنيسة مار مرقس وأثناسيوس الرسولى، وكان وجدانه القبطى وعقيدته الدينية المذهبية من العناصر المؤسسة لموقفه الفكرى ونظرته للأمور.

وهذا ما جذبنى إليه، لم يكن وليم شخصاً منسلخاً، بل كان مصرياً ذا دلالة خاصة، وكان معبراً لا عن رأى شخصى ذاتى محض لفرد من الأفراد، إنما يشكل بدرجة أو أخرى، أو يشير إلى رأى جماعة من المصريين وإلى موقعها الثقافى والفكرى الخاص وإلى نظرها إلى الأمور. وكان وليم بالنسبة لى - أنا المسلم السنى ذو العقيدة والتاريخ الموصولين بمحمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم، كان بالنسبة لى مجال تعرف وتفهم، مصداق قول الله سبحانه وتعالى: "وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا" (سورة الحجرات: الآية ١٣)، أى جماعات وتجمعات، والناس لا يتعارفون أفراداً، بل يتعارفون أولاً ويتفاهمون جماعات جماعات، وفى كل جماعة يتعارفون ويتفاهمون جماعات أصغر وجماعات.. وهكذا.

ووليم كانت قبطيته ومصريته سبيكة، كما أننا نحن إسلامنا ومصريتنا وعروبتنا سبيكة. والفروق بين العناصر لا ترد فروقاً فاصلة، فالسبيكة متحدة العناصر ومؤتلفة، ولكنها فروق ترد للتمييز وللفهم ولإدراك تكوينات الجماعات الفرعية المتداخلة مع بعضها البعض، ومع الجماعات الأعم. هذه وجهة نظرى وتصورى، لذلك إهتممت جداً بقبطية وليم هذه المنصهرة فى مصريته، ووجدتها دالة ومعبرة.

لقد ساد أحياناً بين المثقفين ورجال الفكر السياسى وممارسى السياسة، أن المصرية بحسبانها جامعاً سياسياً هى بديل عن وجوه الإنتماء الأخرى، ووضعت حروف التخيير بينها وبين غيرها (إما، أو)، والحقيقة أن العقيدة أو التاريخ أو الإتصال الإقليمى أو القرابة النسبية، ليس أى من ذلك ولا بعضه ولا كله مما يمكن خلعه كالثياب عند الإلتقاء مع غير المتصف به ممن يجمعهم جامع آخر. والقبطى يدخل المصرية بقبطيته، والمصرى يدخل العروبة بمصريته، وهكذا شأن المسلم.

كان أول ما قرأناه لوليم فى الفكر السياسى، دراسة عن «الكنيسة المصرية تواجه الاستعمار والصهيونية»، نشرها فى الأعداد الأولى لمجلة الطليعة فى ١٩٦٥، ثم نشرتها له وزارة الثقافة ضمن سلسلة كتب صدرت بعنوان «فى المعركة»، وجعل الإهداء إلى والده، وعرَّف والده بأنه إنسان يعيش من عمل يديه، وشارك فى النضال الوطنى، وكان شماساً فى الكنيسة، والكتاب يتضمن حساً مسيحياً كنسياً واضحاً، من أول كلماته التى تبدأ بقوله: "عاش المسيح فقيراً"، ثم يعرج بعد مقدمة من هذا النوع، إلى الحديث عن مكان مصر وكنيستها.

ثم يتحدث عن تحالف كنيستى روما وبيزنطة ضد كنيسة الاسكندرية فى مجمع خلقيدونية، فى سنة ٤٥١ للميلاد، وإخراجهما إياها وشعبها من حظيرة المسيحية، ثم إضطهاد كنيسة بيزنطة للكنيسة المصرية؛ بطاركة ورجال دين وشعباً، ومقاومة هؤلاء للإضطهاد وللحكم البيزنطى.

وبهذا وضع د. وليم المسألة من تاريخها السحيق وضعاً مصرياً، وضع تحرير واستقلال لمصر وللمصريين من الحكم الأجنبى وكنيسته. ثم أبان أن هذا لم يكن وقائع تاريخ قديم مضى وإنتهى، ولكنه تاريخ موصول الدلالة يعبره إلى الوقت الحاضر، لأن شهداء الكنيسة المصرية الذين يذكرون عند إجتماعات الصلاة الدورية بها، إنما يذكرون المصلين إلى يومنا هذا باضطهادات المسيحيين «الملكانيين» البيزنطيين للآباء المصريين، ثم قفز الكتاب إلى فترة الحروب الصليبية وذكر رفض أقباط مصر مساعدة الصليبيين.

ثم يرد صلب البحث عن العصر الحديث من بدايات القرن التاسع عشر، ويتحدث عن نشاط الإرساليات المسيحية الأوروبية والأمريكية، وعن مقاومة الكنيسة القبطية لهذا النشاط، ومن خلال مراجع عديدة لرجال الإرساليات ووقائع كثرة عن موقف الكنيسة المصرية، كشف للقارئ عن أن الكنيسة المصرية تتسم من الناحية الدينية والمذهبية بخصائص من بينها:

أولاً: أنها بتاريخها القديم وتراثها التقليدى وبما عانته من إضطهاد وحرب على أيدى كنيسة بيزنطة، تدرك أن مسيحيى الغرب عذبوا أبناءها بمثل ما عذبهم من قبل وثنيو الغرب، وفى تعليقه على الحروب الصليبية قال وليم: "لم ينس أبناء مصر قط الدرس

الذى تلقوه من الإمبراطورية الرومانية المسيحية ، وحين جاءت جحافل الغرب تحمل شعار الصليب ، رأى فيهم مسيحيو مصر كتائب جديدة من الجند المسيحيين الذين خاضت خيولهم فى دماء أجدادهم " .

ثانياً : كما أن لمصر الوطن مسألة تتعلق بالاستقلال السياسى إزاء القوى السياسية الغربية ، فإن للكنيسة المصرية مسألة استقلال عقدى إزاء محاولات الكنائس الغربية غزوها ، وإحلال مذاهبهم محل مذهبها ، الذى صانته لدى أبنائها على مدى القرون الماضية . وأن ما عرفناه من هيمنة سياسية للغرب علينا ، عرفته الكنيسة المصرية فى صورة بعثات التبشير الغربية التى قامت منذ منتصف القرن التاسع عشر ، محاولة تحطيم الإرث العقيدى للكنيسة المصرية الأرثوذكسية .

والحق ، أن تاريخنا الفكرى السياسى الحديث ، وأن خبراتنا السياسية المصرية منذ نهايات القرن الماضى ، قد عرف كل ذلك مدى وقوف الغالبية الغالبة من أقباط مصر مع مسلميها فى مقاومة الإحتلال الأجنبى والاستعمار الغربى ، والمطالبة بإستقال مصر والمصريين . وأن من لم يقف هذا الموقف كانوا من القلة القليلة ، وكان لهم بين المسلمين مثل هذه القلة ، كل هذا معروف ومشتهر وهو من الثقافة العامة الرائجة فى الأفواه وعلى الأقلام .

ولكن أن يكون للكنيسة المصرية موقف وطنى خاص بها لسبب عقدى يرجع إلى تاريخها العقيدى ، وأن تكون مقاومة لهجمة إحتلال عقيدى عانت منه فى التاريخ الحديث - تاريخ الحركة الوطنية السياسية ، وأن تكون لها مسألة إستقلال عقيدى وكنسى توازى مسألة الاستقلال المصرى السياسى ، وتماثل حركة الإستقلال الفكرية الإسلامية المقاومة للغزو العقيدى الغربى والغزو الفكرى الغربى ومحاولته الهيمنة الثقافية على الأمة وعلى معنوياتها ووجدانياتها ، أن يكون ذلك موجوداً ثابتاً بالتاريخ ممتداً على مدى القرنين الأخيرين ، كل ذلك عرفناه أول ما عرفناه من الدكتور وليم سليمان قلادة فى كتاباته منذ الستينيات .

وهذا ينبغى أن يسجل للدكتور وليم ويذكر له .

كتب وليم بعد ذلك فى عام ١٩٧٦ ، كتاباً عن «الحوار بين الأديان» ، وهذا المجال تجرى به الأقلام الآن وتعقد له المؤتمرات ، وتؤلف من أجله اللجان والمجالس ، وتنشأ له الوظائف ، ويكاد أن يصير للبعض فى غير بلادنا مهنة وحرفة .

فى هذا الموضوع تكلم وليم فى أمور عدة ، ولكنه جاء بضابط معيارى ، لو أنه لم يأت بغيره فى كتابه لكفاه ذلك وجهاً للنفع ، وإسهاماً منهجياً فى أمر العلاقات الثقافية العقيدية بين مختلف الأديان .

يذكر وليم ما معناه أن الحوار بين الأديان لا يجوز أن يرد فى أمر العقائد ، لأن العقائد الدينية تتعامل مع مطلقات ، والمطلق من شأنه أن يستبعد المطلق الآخر ، والإطلاق من خصائص المعتقد الدينى لا ينفك عنه . ومن ثم فإن الحوار بين الأديان إنما يجرى بالنسبة لما يتعلق بالآثار التى تنجم عن الإيمان بكل دين بالنسبة للتعامل بين البشر وبالنسبة للقيم التى تسود بينهم ، والموقف الإنسانى الذى ينتج عن هذا الإيمان .

ويبدو لى أن التحفظ الذى أورده د. وليم وضبط به مجال الحوار بين الأديان ، إنما هو تحفظ يرد عن فكر دقيق ويشكل حداً نافعاً يتعين علينا أن ندرك كنهه لكى لا يتحول الحوار بين الأديان إلى مجال يستطلع به الطرف الأقوى إقتصادياً وإعلامياً ، يستطلع به وسائل الإقتحام الإعلامى والثقافى لما فى الموقف الفكرى للطرف الأضعف (إقتصادياً وإعلامياً) من نقاط ضعف أو ثغرات مكشوفة فى الفكر العقيدى السائد . ولكى لا يتحول الحوار أيضاً إلى وسيلة تبشير . ونحن هنا نتكلم فى نطاق العلاقات الدولية وليس فى مجال العلاقات المحلية وحدها .

ومن جهة ثانية ، ففى عام ١٩٨٢ ، صدر عن مركز الدراسات «بالأهرام» كتاب بعنوان «الشعب الواحد والوطن الواحد» «دراسة فى أصول الوحدة الوطنية» ، وتضمن ثلاث دراسات ، دراسة للدكتور وليم بعنوان «فى أصول الصيغة المصرية للوحدة الوطنية» ، ودراسة للدكتور مصطفى الفقى بعنوان : «الأقباط فى السياسة المصرية . ودراسة لى تضمنها الفصل الثانى من الكتاب بعنوان : «بين الجامعة الدينية والجامعة الوطنية فى الفكر السياسى المصرى المعاصر» .

كان كتابى عن «الأقباط والمسلمون فى إطار الجامعة الوطنية» قد صدر من وقت قليل، وكانت جهة حكومية ما أمرت بسحبه من السوق، ولم تأذن بأطلاقه بعد ستة أشهر أو يزيد إلا بضغوط كتابات نشرتها الصحف وقتها، وكان البحث الذى نشرته فى «الشعب الواحد..» مع بحثى د. وليم سليمان ود. مصطفى الفقى، هو الفصل الأخير من كتاب المسلمون والأقباط.

أحكى كل ذلك، لأصل إلى إيضاح يبدو لى هاماً، وهو أن دراسة الدكتور وليم جاءت وبها وجه تحاور مع كتابى «المسلمون والأقباط»، وبخاصة الفصل الأخير منه الذى خصصته للحديث عن الجامعة السياسية ومبدأ المواطنة وموقف الكنيسة ووضعت فيه فكرة أنه فى إطار مبدأ المساواة التامة والمشاركة بين المواطنين وإن إختلفت أديانهم، فإنه يمكن تطبيق الشريعة الإسلامية، وإنها وإن كانت من شئون الديانة الإسلامية لدى المسلمين من المواطنين، فهى من شئون التراث الوطنى الثقافى لدى المسيحيين من المواطنين، مادامت تكفل حقوق المواطنة لا فى المساواة فقط ولكن فى المشاركة أيضاً، وقدمت وجوه إجتهاد فكرى فى هذا الأمر.

بدا من وليم قدر من التفهم إنعكس فى الدراسة التى تضمنها «الشعب الواحد والوطن الواحد». صاغ وليم وجهة نظره فى إطار تصور لازمه وتأكد لديه ودافع عنه طوال المدة من هذا التاريخ (١٩٨٢) حتى وفاته، وهى تتلخص فى أن المصريين بمسلميهم وأقباطهم كانوا مقصين عن الحكم فى بلادهم، وإنصرفت جهودهم الدينية إلى العبادة والتصوف والرهبنة والسلوك الأخلاقى، فلما تخلصوا من المحتلين فى هذا العصر الحديث بدءوا يضعون معاً شرائعهم.

لم أتفق مع د. وليم فى هذه المسألة التى بذل فيها جهوداً كبيرة بإصرار والتزام وإفاضة فى الإيضاح والتكرار طوال هذه المدة. فإن الحكام المسلمين لم يكونوا أجانب منذ أسلم المصريون فى غالبيتهم، لأن الجامعة السياسية بالفكر السائد على القرون العديدة كان يبنى الجامعة السياسية على أساس جامع الدين والعقيدة، وكانت مصر فى وعى المصريين وحدة من وحدات الجماعة السياسية الأشمل.

والنقطة الثانية أن الشريعة الإسلامية كانت فى أصولها ومبادئها ومصادرها ذات وضع

إلهى لدى المسلمين لأنها آتية من القرآن والسنة، كما كانت فى إجتهاداتها وتطبيقاتها صناعة شعبية من نتائج فقهاء لم يعينهم حاكم ولا صدرت بها قوانين من حكومة، اللهم إلا مؤخراً جداً.

أنا هنا لا أحاول ولا أجادل، وليست المناسبة صالحة لذلك، ولكننى أردت أن أضع نتاج الفكرتين المتقابلتين أمام القارئ، الواحدة إزاء الأخرى، وفى هذا الكفاية الآن.

أما ما استطرد إليه حول بحث وليم هذا، فإنه بعد أن أورد فكرته الأساسية، أورد عدداً من العبارات تفيد عندى، التفهم لموقف المسلم من الشريعة الإسلامية، فضلاً عن الخلاصة النهائية للدراسة، ومن ذلك "نحن نعلم أن الشريعة الإسلامية هى فى وقت واحد عبادة وإخلاص ونظام للعلاقات الإجتماعية وللحكم".

ثم يشير فى النهاية إلى التغيرات الفجائية التى تحدث فى النظم وأن التوجه إلى الإسلام لدى البعض فى هذه الظروف يقدم نظاماً أكثر ثباتاً، ثم يتساءل: "هل فى هذا التوجه خطورة على الوحدة الوطنية فى مصر؟". ثم يحيل إلى فكرته المحورية السابق الإشارة إليها.

ثم يضيف مجموعة من الاستطرادات ينهى بها دراسته، فالإسلام لم يستبعد من المجتمع الذى يهيمن عليه تعدد الأديان فى مكونات الشعب، والتسامح هو بداية للمشاركة الكاملة، "والتوجه للإسلام الآن لا يكون بإعتباره ماضياً نتذكره ولكن بإعتباره واقعاً حياً ومستقبلياً". ثم هو يشاركنى ما كنت ذكرته فى كتاب «المسلمون والأقباط» حول الفكر الموروث الذى عشناه وعشنا به من قبل أجيالاً عديدة، وضم برحابته تاريخاً عريضاً، ويضيف أن هذا الفكر الموروث ذاته يضم حب مصر والإعتزاز بشعبها ويؤكد العطاء الإسلامى والمسيحى والإنسانى.

كما يذكر أن الدين هو الكفيل بأن يكمل ما فى النظام الوضعى من نقص، ثم يذكر أن "فى حقيقة الأمر فإن التجربة المصرية تقدم إنجازاً إسلامياً يفخر به الإسلام ويقدمه للعالم مثلاً فى الإمكانيات التى يتيحها لمن يعشون فى ظله.. وهى تقدم إنجازاً مسيحياً نموذجياً لما يمكن أن يحققه فى أى بلد المواطن المسيحى المخلص فى خدمة بلاده والإخلاص لشعبها".

وفى عام ١٩٨٦ أصدر وليم كتابه «المسيحية والإسلام على أرض مصر»، استهله فى الفصل الأول بالحديث عن «لقاء سنة ٦٤٠م»، يقصد بذلك لقاء عمرو بن العاص المسلم مع بنيامين بطريرك القبط عند فتح المسلمين لمصر، ويقول إن «روح» هذا اللقاء تمثل نقطة إنطلاق فى مسار العلاقة بين إتباع الدينين، وكان بنيامين مختفياً قبل الفتح الإسلامى بسنوات، بسبب إضطهاد الروم المسيحيين له ولأتباعه، وينقل وليم واقعة اللقاء من المؤرخ العربى المسلم عبد الرحمن بن عبد الحكم الذى ذكر: "كان بالاسكندرية أسقف للقبط يقال له أبو بنيامين، فلما بلغه قدوم عمرو بن العاص إلى مصر، كتب إلى القبط يغلمهم أنه لا تكون للروم دولة وأن ملكهم قد إنقطع، ويأمرهم بتلقى عمرو، فيقال إن القبط الذين كانوا بالفارما كانوا يومئذ لعمرو أعواناً".

ثم يروى واقعة اللقاء كما أثبتها المؤرخ القبطى المسيحى ساويرس بن المقفع (أسقف الأشمونين)، "عرف عمر (أمر) الأب المجاهد بنيامين البطرك وأنه هارب من الروم خوفاً منهم، فكتب عمرو بن العاص إلى أعمال مصر كتاباً يقول فيه الموضوع الذى فيه بنيامين بطرك النصارى القبط له العهد والأمان والسلامة من الله، فليحضر آمناً مطمئناً ويدير حال بيعته وسياسة طائفته. فلما سمع القديس بنيامين هذا عاد إلى الاسكندرية بفرح عظيم بعد غيبة ثلاث عشرة سنة.. فلما ظهر فرح الشعب". ثم لما حضر لعمرو وأكرمه عمرو وقال له: "جميع بيعك ورجالك اخطبهم ودبر أحوالهم.. وإنصرف من عنده مكرماً مبجلاً".

يتحدث الكتاب فى فصوله التالية عن الإنسان فى المسيحية، وعن تراث الكنيسة المصرية فى الحرص على الاستقلال ومقاومة التبعية، ثم يتحدث عن الإنسان فى الإسلام، وأن الإسلام كرم الإنسان بوصفه الإنسانى العام، وقرر المساواة بين البشر، ثم ينتقل بعد ذلك إلى الحديث عن الفقه الإسلامى، وكيف أنه كان فقهاً للحاكمين لا للمحكومين، مستشهداً بقول الدكتور حسن حنفى عن الإمامة: "يعطى الأولوية المطلقة للإنسان الحاكم وليس للإنسان المحكوم". واستطرد فى الاقتطاف من كتابات لمفكرين إسلاميين تتصل بأى من هذه المعانى، وأعاد بناء الفكرة التى تردد من قبل، من أن المصريين مسلمين وأقباط كانوا معاً بعيدين عن هذا الفقه، وأنهم لما تولوا أمور بلدهم من القرن التاسع عشر بدءوا يضعون معاً فقههم المشترك.

لست هنا فى مجال مناقشة هذا الرأى، وقد سبق أن ذكرت بعض جوانب ما أراه من رأى آخر مغاير حول هذه النقطة، ولا أريد الإطالة، إنما أريد هنا أن أوضح أن الدكتور وليم سليمان الذى فارقنا من أيام معدودة بعد حياة نافعة لأمته المصرية ولجماعته القبطية المصرية، كان يفرغ بجهده الفكرى وطاقته الثقافية والإيمانية الوجدانية لمعالجة أمرين :

الأول: دعم مفهوم الاستقلال ورفض التبعية، سواء بالنسبة لمصر أو للكنيسة، بالنسبة للوطن المصرى بوصفه جماعة سياسية تعانى من خطر الإلحاق والتهديد بالتبعية للقوى العالمية الكبرى، وأن هذا المفهوم يشمل الجماعة السياسية، كما يشمل الكنيسة القبطية فيما واجهت وتواجه من تحديات.

ثانياً : إدراك أن قوى التماسك لدى الجماعة السياسية المصرية، لا ترد من تجاوز الموقف الدينى لكل من المسلمين والمسيحيين، وكما فعل العلمانيون من المفكرين السياسيين، وإنما هى ترد لديه من خلال الموقف الدينى وبالتمسك بهذا الموقف، فيأتى المسلم إلى المصرية بإسلامه، ويأتى المسيحى إليها بقبطيته. ومن هنا وجد من الضرورى مناقشة المفاهيم الدينية لدى كل من التكوينات المصرية للوصول إلى الصيغ المشتركة.

ولكن فى ظنى أن فكر وليم - وهو يرد هذا المورد - ركز على فكرة نظرية أساسية جعلها المناط، وهى فصل الحاكم من المحكوم، وإلحاق الفكر والفقه بالحاكم دون المحكوم، وكان هذا النظر نظراً طبقياً يصنف الجماعة السياسية بحسب أنها طبقة أفقية فلا تتصل أى طبقة بما فوقها أو ما دونها. وأتصور أنا أن الجامعة السياسية هى دائرة إنتماء تضم قوماً يرون بإدراكهم ووعيهم أنهم مدرجون فى هذه الدائرة معاً، وقد يتصارعون معاً فى داخلها بين حاكم ومحكوم أو بين ظالم ومظلوم، ولكنهم يدركون التكون الثقافى المشترك الذى يجعلهم جماعة واحدة، والعبرة فى ذلك بحقائق التاريخ ومدركات وقائعه بين أهل كل حقبة وكل جماعة. فنحن لا نصنع الأمم ولكنها هى من تصنع نفسها وتتشكل عبر وعيها الجماعى. ونحن بوصفنا مفكرين سياسيين نلحظ الجماعات الموجودة أو التى كانت موجودة ونجرى تحليلنا حول معيار التصنيف الذى جمعها وجعلها تشعر بوحدة الإنتماء حسب إدراكها فى الزمان والمكان المعين.

إن حرص وليم النبيل على تأكيد مبدأ المواطنة والمساواة بين المواطنين، هما ما شغله بهذه الوسيلة (النظرية) التى وقف عندها لا يعدو عنها إلى غيرها.

ولكننى أقول أن من إجتهادات الفقه الآن ما يكفل تحقق مبدأ المواطنة فى الفكر السياسى، أو تحقق مبدأ المساواة أو المشاركة فى الفقه التطبيقى، بما تسعه النظريات القائمة، سواء الفقهى الإسلامى منها أو الفكرى السياسى.

أردت بهذا العرض الحوارى أن أبين أن فكر د. وليم سليمان فكر حى تعامل فيه مع أوضاع زمانه وزماننا بعقل وطنى وقلب محب. وأننا نتفق معه ونختلف بوصف فكره فكراً حياً، وكما يتفق أى منا مع غيره ويختلف، فى إطار ما يجمع من نطاق وثيق، وأنه الكثير الجوهرى الذى يضمنا متفقين فيه، وفى القليل الفرعى الذى تتغاير الآراء بيننا فيه، فيهما معاً نحن نتعامل مع فكر جاد ومحترم لوطنى مخلص ولإنسان شريف، بأصدق ما تدل عليه هذه الأوصاف وأكثرها مجداً.

وأننا إذا نظرنا إليه من منظور تاريخنا المعاصر، نجد أننا صرنا بجهوده أكثر فهماً لذواتنا وأكثر تماسكاً لجماعتنا وأكثر حباً لبلدنا.

المواطنة فى القلب(*)

د. أنور عبد الملك

(١)

" الفكر الكبير يحبط . الفكر الصغير يشتت . الحديث الكبير مشرق متألق . الحديث الصغير ثرثار " .

كلمات قلائل لأحد كبار فلاسفة حضارة الصين «شوانج تسو» (القرن الثالث ق . م) وكأنها تضئ بنور ساطع رسالة مفكر وطنى رائد . القلب الكبير يصدر عنه الهيام الكبير . العقل الكبير منبع للرؤية النافذة . الفكر الكبير يصيغ المعانى الكبيرة .

كنت أودّ أن تكون ذكرى حرب أكتوبر المجيدة بداية للتعمق فى مغزاها الحضارى ، خلال الأيام التى تعود إلى ذاكرة الوجدان والقلب ذكرى أبطالنا الأمجاد ، وفى طليعتهم العقيد الشهيد إبراهيم الرفاعى ، قائد لواء الصاعقة الذى فارقنا على أرض سيناء يوم الجمعة ١٧ أكتوبر ١٩٧٣ وإذ بذكرى الأربعين لرحيل المفكر الوطنى الرائد المستشار الدكتور وليم سليمان قلادة يوم الجمعة القادم ٢٢ أكتوبر يدعونا إلى الغوص فى أركان رسالة الوطن ومعانى المواطنة الحية .

تشاء الظروف ، والظروف تشاء ، أن يكون حديثنا الأخير عبر الهاتف وأمواج البحر يوم الأحد ٢٩ أغسطس الماضى . كان صوته مبهجاً : "عندى مفاجأة لك بمجرد وصولك بعد وقت قريب . . الكتاب صدر منذ أيام . فيما أن الوقت طال على إنجاز مشروع المواطنة بأكمله ، فقد رأيت أن أنشر مجموعة من الدراسات والمقالات فى كتاب يقدم المعانى الرئيسية إن "نسختك محفوظة حتى نلتقى . . " إنتابنى فرح عظيم . . كان الحديث بيننا

(*) نشرت فى حلقتين بجريدة الأهرام؛ ١٩ أكتوبر و٢ نوفمبر ١٩٩٩ .

منذ ربع قرن حول مشروع المواطنة، يتعمق هو فى القراءات والتأليف بعناية، بينما كنت أستحثه إلى إنهاء الموضوع فى أقرب وقت نظراً لأهميته. عدت إلى أرض الوطن، التقيت به قلباً وعقلاً وفكراً بين صفحات الكتاب «مبدأ المواطنة» وقد فارقنا رفيقنا الرائد فى المسيرة.

رحت أطالع الصفحات الواحدة تلو الأخرى، والفصول، وكلها تنبض بالحب والأمل، بالعلم والتعمق. ومن هنا رأيت أن أترك الكلمة لمن فتح صفحة نيرة وطريقاً مضيئاً للمواطنة فكراً وعملاً على أرض وفى قلب مصر.

هذه بعض النصوص تتحدث وتضيء.

من مسيرة "فقه المحكومين"

١- "حقوق الإنسان نوعان: «الحقوق المدنية»، و«الحقوق السياسية». . النوع الأول من الحقوق هو حقوق الإنسان بصفة عامة أما النوع الثانى فهو حقوق المواطن. . وعى الإنسان بأنه مواطن أصيل فى بلاده وليس مجرد مقيم يخضع لنظام معين دون أن يشارك فى صنع القرارات داخل هذا النظام. هذا الوعى بالمواطنة يعتبر نقطة البدء الأساسية فى تشكيل نظرته إلى نفسه وإلى بلاده وإلى شركائه فى صنع المواطنة. فعلى أساس هذه المشاركة يكون الإنتماء إلى الوطن، ومن خلال المشاركة تأتى المساواة، فلكل مواطن نفس الحقوق وعليه نفس الواجبات، فلصفة المواطنة ثلاثة أركان: الإنتماء للأرض، والمشاركة، والمساواة أى الندية، ومن ثم يأتى جهد الشخص فى إطار الجماعة السياسية لممارسة صفة المواطنة والتمسك بها والدفاع عنها وحين تنجح الجماعة فى حركتها الوطنية والدستورية، أى حين تنجح الجماعة فى إستخلاص حقوق الوطن والمواطن تتبدى «اللحظة الدستورية» تتحرك الأرض إلى «وطن» والإنسان الذى «يحيا عليها ويشارك فى صياغة حياتها إلى مواطن». حينئذ يسجل مضمون هذه اللحظة فى وثيقة هى «الدستور».

٢- من أين ترى، تأتى «اللحظة الدستورية»؟ هل من مبدأ مجرد، أو من فعل فاعل؟ الإجابة بكل تأكيد هى أن "المرجعية فى التنظيم الدستورى وفى الحياة السياسية «الدستورية» هى «الحركة» وأثارها ومنطقها.

التاريخ إذن هو أساس ذلك «الإنفصال القاطع» بين الحكام والمحكومين عبر مئات بل وآلاف السنين: "إن خطاً أفقياً حاسماً - حاجزاً يقسم المجتمع المصرى إلى شريحتين: أعلى الخط الفاصل يجثم الحكام، يتمسكون بأسانيد يمارسون على أساسها إخضاع المحكومين ويبررون بها فى مواجهة سلطتهم بما يضمن لقاء هذه السلطة فى أيديهم واستمرار تداولها فيما بينهما طبقاً للنظم التى أقاموها لتأييد مراكزهم. هذه الأسانيد والنظم التى يقيمون شرعية الحكم طبقاً لها هى مضمون «فقه الحكام»".

وأسفل الحاجز يقر المحكومين «أهل الأرض» بجميع مكوناتهم ولهم أيضاً مفاهيمهم وتوجههم وعلاقاتهم ببعضهم بعضاً وبالحكام وهم ليسوا قابعين أسفل الحاجز فى سكون، بل ثمة حركة تتراكم مقوماتها الجغرافية والإنتاجية والحضارية والفكرية ينهض بها المحكومون وتنطلق من شعورهم بالظلم الذى يمارسه عليهم الحكام فيرفض المحكومون الخضوع لفقه الحكام ويصممون على إختراق حاجز السلطة وإحتلال مراكز الذين يحكمونهم بالقهر. ويقوم بين المحكومين عقد إجتماعى صريح أو ضمنى يقر حقوقهم وإلتزاماتهم فى المستقبل، على أساس المشاركة والمساواة أى الندية، وتمضى الحركة قدماً وتنجز فى هذا التوجه خطوات متتالية وإن فى بطء هذه المقومات والمفاهيم والتوجهات والعلاقات وآليات الحركة هذا كله هو مضمون «فقه المحكومين».

٣- إن هذه الحركة التاريخية، تاريخ حضارتنا المصرية، هى التى تجمع بين مقوماتها السبعة أى: الجغرافية البشرية أى الأرض «مصر»، البشر «المصريون»، المشروع المصرى، الدولة، الحضارة، التعددية الدينية.

إن الترابط بين هذه العناصر يقدم لنا نسيجاً دقيقاً يتعدى مستواه التحليل:

(أ) "إن التراث الدينى المصرى القبطى والإسلامى يحتفل بأن أرض مصر هى الجنة فى الدنيا، وهكذا يمكن القول بأن علاقة المصريين بأرضهم تمثل واحداً من أهم عناصر الاستمرارية المصرية".

(ب) فى مصر نجد وحدة الأرض والنهر، فى تواصل تعرقله فواصل من جبال أو هضاب تؤدى إلى عزلة جزء من الشعب إلى الأجزاء الأخرى، فتكون للجزء المعزول حياته الخاصة المختلفة وأحياناً لغته.. فمصر كما يقول جمال حمدان وسط جغرافى

أحادى وجسم بشرى واحد، وهى لذلك أبعد ما تكون عن التنافر الداخلى أو التخلخل التركيبى، إن «التجانس» صفة جوهرية فى البيئة المصرية - فى المكان وفى المناخ وفى الزراعة وفى البشرة ويأتى التجانس من طبيعة النهر الأرسابية التى تخضع لمبدأ التدرج الوئيد، فمن الصعب أن نجد بلداً يخضع في ملامحه لقانون التدرج كوجه مصر - فإذا كان التجانس هو قانونه الأول، فإن التدرج هو قانونه المكمل.

ومن هذا التجانس ما أدركه «عمرو بن العاص» فى رسالته إلى الخليفة عمر بن الخطاب وسماهم «أهل الأرض». فإذا كان التجانس هو المميز الأول للجغرافية المصرية الطبيعية فإن هذه الصفة تتجلى أيضاً فى جغرافيتها البشرية.

(ج) ثم يفسر المفكر الوطنى الرائد «إنجاز الأقلية المبدعة» فى نشأة الحضارة، فى مواجهة ما وجد "المصريون حين هبطوا الوادى فجر التاريخ فوجدوا بيئة بدائية لا تصلح للسكن أو العمل فيها: المستنقعات والبرك والأدغال والأجسام والنباتات والحيوانات البرية". كان على المصريين أن يغيروا هذا كله بالجهد الشاق والعمل الجماعى المضنى المتصل فى تطهير النبات والحيوان وشق المصارف والترع ومجابهة أخطار الفيضان أو الجفاف وضبط النهر. كان عليهم أن يعبروا المسطح الطبيعى إلى إقليم حضارى بالجهد والعرق والإبداع.

وهنا يعود بنا أن المفكر الوطنى الرائد الدكتور وليم سليمان قلادة إلى ما سطره المفكر العلم عباس محمود العقاد عن «الطبيعة المصرية فى حقيقتها» إذ يقول إنها أمة طويلة التاريخ قديمة العهد من المدنية فى أرض زراعية.. فالأمة المصرية ليست أمة بداوة تتوثب إلى الحرب لأنها باب الرزق.. ولكنها أمة حضارة مستقرة ومعيشة منتظمة تلجأ إلى الحروب حين تلجأ إليها لأنها ضرورة لا محيض عنها ونكبة لا تستهين بها إلا إتقاء لنكبة أمر منها وأصعب عاقبة من عاقبتها. وهى لا تطيع حكامها كما يطيع البدوى زعيمه أو كما يطيع العسكر قائده.

من هذه المعانى جاءت الوحدة السياسية للوطن المصرى، فكانت مصر أول أمة بالمعنى القومى الصحيح، وأول دولة بالمعنى السياسى الكامل، ولم تقسم قط عبر آلاف السنين رغم ما خضعت له من استعمار أجنبى فى بعض مراحل تاريخها. ففى مصر تتطابق

حدود الدولة (الوحدة السياسية) مع حدود المجتمع (الوحدة الحضارية والثقافية) تطابقاً يكاد يكون مائة فى المائة على حد تعبير جمال حمدان. من هنا أمكن أن تنشأ حضارة متكاملة، كانت الأولى وإخترقت عشرات الأجيال حتى عصرنا.

(د) كان نظام الزراعة الحوضية يترك الفلاح أغلب العام أو نصفه على الأقل فى حالة فراغ تقريباً - ولهذا أمكن توجيه طاقة بشرية كبيرة نحو الإنصراف إلى فنون الحضارة الراقية بل وإلى الكماليات الحضارية، وهذا هو السبب الذى مكن الفراعنة من تشغيل مئات الألوف من العمال فى بناء الأهرامات والمعابد والمقابر بكل تحفها وملحقاتها دون أن يتأثر إقتصاد الإنتاج قط.

(هـ) ومن ثم "فقد عرف المصريون" الخلود مبكراً. ويرجع بعض الدارسين فكرة الخلود إلى إحساس المصريين ببهجة الحياة ببيئتهم الرخية الرغدة وبالتالى تعلقهم بها إلى حد إسقاطها على حياة أخرى بعد الموت، بل إنهم لا يرضون عنها فى الآخرة بديلاً. فجنة المصريين هى مصر الخالدة. أنهم يتشبثون بالحياة المصرية بعد الموت. ومن هنا نبعت فكرة الخلود عندهم، إن الموت فى رأيهم هو معبر إلى الضفة الأخرى حيث تتواصل حياتهم كما ألفوها بالتمام - إن جنة المصريين هى مصر الخالدة..

(ز) ومن هنا خلاصة المطاف، أو جوهر عملية «الحركة التاريخية»: لقد فرضت مقومات الكيان المصرى الحياة المشتركة ثم ولدت الحركة المشتركة ومن خلال هاتين - الحياة والحركة - قامت المساحة المشتركة من المفاهيم والقيم. وهكذا أخذ التقسيم السياسى يستوعب التقسيم الدينى ويتجاوزه، وتم هذا فى مسيرة ألفية هى مسيرة الحركة المصرية الوطنية والدستورية التى أثمرت فى النهاية «فقه المواطنة».

«فى ذكر بعض فضائل مصر..»

ومع هذا يشعر المصريون بأن هناك عقبات وعوامل ودوافع لم تساعد على تأصيل المواطنة فى بعض العصور.

يعود بنا المفكر الوطنى الكبير إلى أمهات أعمال المؤرخين المصريين المسلمين لوطننا بدءاً من عبد الرحمن بن عبد الحكم فى كتابه - العمدة «كتاب فتوح مصر وأخبارها»

(١٨٧-٢٥٧هـ) (٨٠٣-٨٧١م). إنه المؤرخ العلم الذى بدأ عمله بفصل «فى ذكر بعض فضائل مصر»، وفيه يقول: "من أراد أن يذكر الفردوس أو ينظر إلى مثلها فى الدنيا - فينظر إلى مصر حين تخضر زروعها وتنمو ثمارها". وعن الشعب يقول: "قبط مصر أكرم الأعاجم كلها (لأنهم يتكلمون غير العربية)، وأسمحهم يداً، وأفضلهم عنصراً".

قائمة المراجع والعلماء تكاد تكون دليلاً على ثراء الرؤية من إبن عبد الحكم إلى جمال حمدان، من تقى الدين المقريزى إلى طارق البشرى، ومن رفاعة الطهطاوى إلى على إبراهيم حسن وعبد الرحمن الرافعى، من عبد الرحمن الجبرتى إلى أحمد عزت عبد الكريم ومحمد سليم العوا ونعمات أحمد فؤاد وكان من الواجب ذكر صبحى وحيدة وحسين فوزى وعندنا أن الجوهر المشترك إنما هو التركيز على حركة مصر، شعباً وأمة وحضارة دون كلل فى إتجاه تأكيد خصوصيتها.

المؤرخ الكبير أحمد عزت عبد الكريم يروى لنا قصة التعاون بين عمرو بن العاص وبنيامين، رأس الكنيسة القبطية فى أثناء الفتح العربى، للتعرف على أحدث الأساليب لإدارة البلاد دون اضطراب. يستفسر عمرو، فيجيب بنيامين: "تأتى عمارتها وخرابها من وجوه خمسة: أن يستخرج خراجها فى إبان واحد عند فراغ أهلها من زروعهم، ويرفع خرابها فى إبان واحد عند فراغ أهلها من عصور كرومهم، وتحفر فى كل سنة خلجها، وتسد ترعها، ولا يقبل على أهلها من يريد البغى، فإذا فعل هذا عمرت، وإن عمل فيها بخلافه خربت". ويؤكد مؤرخنا الكبير أن عمرو بن العاص نفذ وصية بنيامين بدقة وأمانة.

وهذا السيد محمد بن أبى السرور البكرى الصديقى (توفى ١٠٨٧هـ)، يورد فى كتابه «الكواكب السائرة فى أخبار مصر و القاهرة» ثمانية وأربعين سبباً فى «ذكرى ما إختصت به مصر والقاهرة من محاسن وفضائل» ويورد ثمانية وأربعين سبباً فى تفضيل مصر أرضاً وأهلاً على غيرها من بلاد الدنيا ويقول فى السبب الأربعين عن قبط مصر إنهم "من ذرية الأنبياء عليهم السلام".

ولعل فى إبراز مكانة الدولة الطولونية (٢٥٤هـ) ما يضئ طريق صراع مصر من أجل الحفاظ على خصوصيتها كما عرضت له المؤرخة سيدة إسماعيل كاشف، فى تعليقها على

جمال الدين أبو المحاسن بن تغرى بردى، فتقول: "دخلت مصر فى الفلك الإسلامى العربى بعد أن فتحها عمرو بن العاص قائد الخليفة عمر بن الخطاب وذلك سنة ٢١هـ (٦٤٢م) وظلت مصر ولاية تابعة للخلافة إلى أن جاء أحمد بن طولون إلى مصر. . وقامت فى مصر على يده أول دولة عربية إسلامية. . وكانت الدولة الطولونية تمثل الإنتقال من عصر التبعية إلى عصر الاستقلال، ومن عصر الوالى الذى يمثل سياسة الخلفاء ويأتمر بأمرهم إلى عصر الحاكم القوى الواسع السلطان الذى يسنده الشعب ويسنده الجيش والاسطول والذى يعمل بما فيه الخير والمصلحة للبلد وأبنائه. . وكان أحمد بن طولون مؤمناً بأن مصر للمصريين - فكان كريماً مع أبنائها ولم تشغله مشاريعه فى الاستقلال وفى تكوين إمبراطورية مصرية عربية عن خدمة البلد وعن القيام بمشاريع كثيرة ينتفع بها أبناء مصر. وبدأ فى عهده وادى النيل حياته لنفسه فى مجموعة الأمم الإسلامية.

وعن «الفلتة» الغرافية والبشرية على حد تعبير جمال حمدان: "أنها صنعت التفاعل إئتلافاً وإختلافاً بين بعدين أساسين فى كيانها وهما الموضع والموقع، فالموضع هو البيئة الطبيعية والبشرية الداخلية، والموقع هو مجموع العلاقات التى تربط هذا الإقليم بما حوله. إن الحقيقة العظمى فى كيان مصر ونقطة البدء لأى فهم لشخصيتها الاستراتيجية هى إجتماع موقع جغرافى أمثل فى موضع طبيعى مثالى وذلك فى تناسب أو توازن نادر المثال، فالموقع والموضع هنا متكاملان جداً فى الدور ومتناسبان إلى حد بعيد فى المقياس، فكل منها ضخم الحجم أو الخطر ولكن فى تناسق دقيق وشبه محسوب.

وكذا يلتفت المفكر الوطنى الكبير الراحل إلى رأى حسين مؤنس ودراسات أحمد رشدى صالح عن الأدب الشعبى. فعن الأول يقول: إنه رأى أن "الحاصل أن ما حدث فى مصر فى هذا المجال فتح هو الطريق أمام شعب مصر كله ليتفاهم بلغة يتحدث بها بشر فى رقعة من الأرض تمتد كما نقول اليوم من المحيط للخليج". وبهذه اللغة يدخل الشعب المصرى بكل قوته البشرية وبكل تراثه الحضارى فى حوار. وينهض بقيادة معركة التحرر القومى والإجتماعى مع مجموعة تبلغ اليوم ما يزيد على مائة مليون نسمة يقدم لهم نموذجاً رائداً فى الوحدة والتفاهم. هنا نجد أن الوضع - الفلتة الجغرافية والبشرية - يزداد ثقله وجاذبيته فى الموقع".

وعن أحمد رشدى صالح - مؤرخ الأدب الشعبى وفنونه - يورد قوله : "إن الأدب القبطى العامى واللغة الدارجة القبطية مازجاً الأدب العربى واللهجات العامية العربية واستوى فى ذلك مزاج عربى قبطى، أو قل إستوى مزاج قبطى إسلامى . وهذا يصدق على الشكل والمحتوى سواء بسواء . وإذا كنا نؤرخ لأدبنا الشعبى الشفاهى بإستخدام العامية فى مصر فالواقع أن جذوره أقدم من ذلك بكثير وإنها ترجع إلى الأدب الشعبى المصرى الفرعونى القبطى فى أطواره السابقة . . وكذلك حدث تزاوج بين الروح الإسلامية وبين الفن القبطى" .

رسالة واحدة عبر الأجيال

إلى أن جاء يوم السادس من أكتوبر ١٩٧٣، بدء العبور الذى قال عنه المشير أحمد إسماعيل، القائد العام للقوات المسلحة، أنه فاتحة حرب أكتوبر التى أبرزت الوحدة الوطنية فى مصر بصورة كاملة متكاملة لا شرخ فيها ولا عيب .

وهو المعنى الذى جاء فى نداء قادة الجيوش الميدانية إلى ضباطهم وجنودهم لحظة بدء المعركة : "ثقتى فيك بغير حدود، أثق فى كفاءتكم، أثق فى إيمانكم بالله وفى قضيتكم قضية المصير : أن نكون أو لا نكون . لم يعد هناك مما نحن فيه إلا أن نشق الطريق نحو ما نريد - عنوة، وبالقوة تحت أفق مشتعل بالنيران . وفى هذا يقول الله تعالى وهو أصدق القائلين "إن الله إشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة، يقاتلون فى سبيل الله ويقتلون وعداً عليه حقاً فى التوراة والإنجيل والقرآن" .

واستمع يا أخى إلى ما جاء بإنجيل متى (١٠ : ٣٩) فى هذا المقام أيضاً: "من وجد حياته يضيعها، ومن أضاع حياته من أجلى يجدها"، ويتواصل النداء ويورد آيات أخرى من القرآن والإنجيل ثم يقول: "إلى الأمام أيها الرجال، إلى الأمام أيها الأبطال - سدد الله خطاكم على طريق النصر، لتتحقق على أيديكم الحرية والعزة لكم ولمصر" .

نعود إلى السؤال - التساؤل المحير : إن كان الأمر كما جاء على لسان المؤرخين والعلماء، القادة والمناضلين البواسل، وكما ورد الصفحة تلو الصفحة فى الكتاب

التكوينى رفيع المقام الذى أهداه المستشار الدكتور وليم سليمان قلادة إلى أمتنا، شعباً ودولة، نقول: من أين إذن السؤال، بل وجوب التساؤل، حول «مبدأ المواطنة»؟

إن إجماع كل من توغل فى أركان تاريخ أمتنا وراح ينقب عن معانى خصوصيتها وأسباب استمراريتها لا فجوة فيه، على تنوع الإنتماءات والتوجهات والمدارس الفكرية. ومع هذا، ورغم هذا، ينشر الغموض أحياناً فى بعض قطاعات المجتمع القومى، وكأن سحابة ما تقلل من شأن هذا الإجماع، وتصل أحياناً إلى حد تغييبه.

يذهب البعض من المحللين الممتازين إلى أن هذا الأمر يعود إلى أسباب منهجية، فإذا صح المنهج، أو تم تصحيحه وتضبيطه، لتجلت الحقيقة وزال الإهتزاز.

وعندنا أن الأمر يتعدى الإختلاف فى «المناهج».

إنه نتاج لعملية الصياغة التاريخية لأمتنا المصرية، عبر أجيال شهدت مراحل من الاستقلال والتبعية، من السيادة والإنكسار، من مراحل وتقلبات عملية إمساك الشعب بمعانى تقرير مصيره واستطاع أن يدعم كيان دولته الوطنية المستقلة – من ابن طولون إلى محمد على، من ثورة ١٩١٩ إلى العبور.

إنه طريق نماذج حركة التحرر والاستقلال الوطنى مع النضال المستمر من أجل المشاركة الشعبية والديمقراطية ومن هنا كان لازماً علينا أن نخطو خطوة ثانية مع المفكر الوطنى الرائد المستشار الدكتور وليم سليمان قلادة الذى أورثنا ملف «مبدأ المواطنة» إرثاً لإمتنا شعباً ودولة بحيث يتم الإجابة على السؤال التساؤل، ويثبت الإيمان برسوخ المواطنة فى قلب الوجود المصرى واستمراريته.

قال صاحبى:

"شئ عجيب: إن كان ميراثنا بحق، كما تقول منبهراً، فلماذا ومن أين، الغموض بل والإحباط؟

كيف حدثت الثغرة؟ . . أين كان الحكماء يا عزيزى؟ ثم: هل أن كبار المفكرين فى بلادنا، وفى أيامنا، من أمثال الراحل الكبير، يملكون حقيقة مفتاح

الخلاص؟ أو أننا بخير، وكله تمام، ومكانك سر والحمد الله؟.. حيرتونا معكم: تكلموا! نورونا!.. الله ينور عليكم..

(٢)

مادامت أن المواطنة فى القلب، أى مادام "إن مصر ليست وطناً نعيش فيه، وإن مصر وطن يعيش فى قلوبنا" (على حد تعبير البابا شنوده، صديق عمر المفكر الوطنى الكبير الراحل المستشار الدكتور وليم سليمان قلادة)، يجدر بنا أن نتساءل: من أين، إذن، فترات الإحباط وغيوم ضياع الرؤية وسحابة فقد التوازن التى تنتابنا من وقت إلى آخر؟

كيف يمكن أن يستشعر قطاع من الأمة - مرة أخرى فى بعض لحظات فى تاريخها السابع ألفى - بضعف الرابطة الوطنية، بعدم الإكتراث بمحور السلطة الوطنية، بل وبالإرتباط مع ما هو مغاير لأنه يتقدمنا ويعلو صيته واقعياً، وليس فقط دعائياً؟

وعندنا أن هذا السؤال - التساؤل يطرح نفسه فى قلب خصوصية مصر الحضارية، بدءاً من «عبقرية المكان» الذى حددها جمال حمدان ومن حوله جيل المؤرخين والمفكرين الوطنيين الأصلاء فى النصف الثانى من القرن العشرين - أرض خصبة إلى أبعد حدود الخصوبة، وشعب متماسك، وقيم رفيعة المقام ثابتة، ولكنه أيضاً - كما عرضنا له مراراً وتكراراً - هو شعب أمة متفجرة سكانياً، محاصرة صحراوياً، يحيا فى أصعب وأخطر دائرة چيو-سياسية فى العالم منذ قدم التاريخ حتى مشارف القرن الحادى والعشرين.

وبالتالى يجب البحث عن أسباب الأجواء السلبية بين الحين والآخر فى خارج دائرة الوجود الوطنى بالمعنى المباشر، أى أن موجات الغزو وتسلط القوى الخارجية هو الذى أدخل الإنقسام فى المقام الأول.

١ - الإحتلال العثمانى، كما يعرض له الراحل الكبير بدءاً من دراسات الباحثين: "استعلاء السلاطين كان نزعة أصيلة فى نفوسهم إشترك معهم فيها الأتراك العثمانيون

كشعب نظر إلى الحرب على أنها مهمته الأولى، ونظر إلى أصوله الجنسية الأولى على أنها أنقى وأرقى الأصول الجنسية للشعوب الأخرى، ونظر إلى الشعوب الأوروبية المسيحية نظرة إزدراء، ونظر إلى الشعوب الإسلامية نظرة استعلاء. وهكذا عاش العثمانيون في عزلة إجتماعية وثقافية، وكان إختلاف اللغة أحد المظاهر الرئيسية للإستعلاء والإزدراء والعزلة الإجتماعية بحيث أن العثماني كان ينظر إلى البشرية المحيطة به على أنها لا تصلح إلا للاسترقاق والعبودية والتبعية، وعلى غرار ما حدث في الولايات العثمانية في أوروبا، إنتهجت الدولة العثمانية نفس السياسة في الولايات الإسلامية من حيث عدم الإندماج وعدم الإنصهار بين الأتراك العثمانيين وأهالي الولايات الإسلامية وقنعت الدولة بالجزية السنوية ترسل إليها من كل ولاية!".

٢- وقد جاء حكم الأتراك العثمانيين بعد عهد المماليك الذي ظل، في معظم الأحيان وحتى القرن الثامن عشر، بعيداً عن جسم الأمة. "في حقيقة الأمر فإن هذا الإنفصال الحاسم بين الحكام والمحكومين كان يمارس في مصر من قبل أثناء عهد المماليك، والإنفصال هنا ليس أساسه طبقياً وحسب ولكنه أكثر من ذلك - لأن المماليك رقيق من سوق النخاسة خليط من المغول والأتراك والشراكسة والروم والروس والأكراد فضلاً عن أقلية من مختلف الدول الأوروبية، ولقد عاش المماليك أثناء حكمهم مصر كطائفة منفصلة تماماً عما حولها ولم يختلطوا بأي عنصر من عناصر السكان المصريين سواء في ذلك الأقباط أو المسلمين، ولم يتزوجوا من أهل البلاد بل اختاروا زوجاتهم وجواريهم من بنات جنسهم، وقصروا أعمال الجندية على أشخاص واشترطوا ألا ينخرط في سلك المماليك الحربي إلا من يستوردونه من جديد - فأبناء المماليك مهما عظم شأنهم كانوا يقصرونهم على الأعمال الكتابية والإدارية ولا يسمحون لهم بالدخول في الجيش.

٣- ويعود المفكر الراحل الكبير إلى "إتساع الجو الحربي الذي ساد العالم الإسلامي منذ القرن الحادي عشر حتى القرن الخامس عشر مع نشوب حروب الفرنجة أي الحروب الصليبية" فيقول: "نحن نجد في تكوين الدولة المملوكية بعض تقاليد الحكم المغولي الذي لا يعترف بحقوق سياسية لغير حملة السلاح، وكانت المنازعات بين المماليك وبعضهم البعض لا يفصل فيها القضاء طبقاً للشريعة الإسلامية، ولكن قضاء العسكر المجاب - هم الذين كانوا يقومون بهذا العمل طبقاً للقوانين التي ضمنها كتاب «ياسة» الذي وضعه

جنكيز خان ولقد كان التعبير الإقتصادى عن هذا الإنفصال متمثلاً فى نظام الإقطاع : فالأرض وهى وسيلة الإنتاج الرئيسية كانت من نصيب رجال الجيش والإدارة الإقطاعية يشرف عليها ديوان الجيش ، وهكذا عاش عامة المصريين على أنهم مواطنون من الدرجة الثانية .

كيف أمكن ، إذن ، الخروج من هذا التوغل والإفلات من حصار الكماشات المحيطة بجسم الوطن؟

جيش الوطن، كيد الأعادى

عود بنا إلى الجوهر ، إلى صلابة تكوين المواطنة المصرية التى ، وحدها ، تتيح مواجهة التوغل والحصار . فلنكمل المشوار من خلال مقتطفات دالة بقلم المستشار الدكتور وليم سليمان قلادة .

١ - أنه يعود المرة تلو الأخرى لمكانة أحمد بن طولون الفريدة فى تاريخ مصر ، فى قلب عالم الخلافة الإسلامية وهى فى أوج مجدها وقوتها . ويرتكز فى الأساس على كتاب الدكتورة سيدة إسماعيل كاشف عن أحمد بن طولون (١٠٦٥) : "ظلت مصر ولاية تابعة للخلافة إلى أن جاء أحمد بن طولون إلى مصر ... وقامت فى مصر على يده أول دولة عربية إسلامية . . وكانت الدولة الطولونية تمثل الإنتقال من عصر التبعية إلى عصر الاستقلال من عصر الوالى الذى يمثل سياسة الخلفاء ويأتمر بأمرهم إلى عصر الحاكم القوى الواسع السلطان الذى يسنده الشعب ويسنده الجيش والأسطول والذى يعمل بما فيه الخير والمصلحة للبلد وأبنائه ، وكان أحمد بن طولون مؤمناً بأن مصر للمصريين فكان كريماً مع أبنائها ولم تشغله مشاريعه فى الاستقلال وفى وقت تكوين إمبراطورية مصرية عربية عن خدمة البلد وعن القيام بمشاريع كثيرة ينتفع بها أبناء مصر ، وبدأ فى عهده وادى النيل حياته لنفسه فى مجموعة الأمم الإسلامية . . شعر المصريون لأول مرة بعد قرون طويلة بأن بلدهم أصبح لهم . وكانت فجيعة المصريين لا حد لها حين دكت قوات الخلافة العباسية صرح الدولة الطولونية . والحق أن قائد العباسيين الذى قضى على الدولة الطولونية أخذ المصريين بمنتهى الشدة والقسوة . ويمكننا أن نفسر العنف الذى صحب سقوط الدولة الطولونية على أنه من الظواهر التى تصحب فترات الإنقلاب ، ولكن يبدو أن هذا العنف كان بسبب تعلق

المصريين بالدولة الطولونية وأنهم كانوا يعبرونها دولتهم، وتجلت الحسرة على ما حل بالطولونيين وعلى زوال دولتهم من لهجة المؤرخين المصريين فى استهجان الفظائع التى ارتكبها القائد العباسى محمد بن سليمان الكاتب وجنوده الخراسانية ومن رثاء الشعراء المصريين للدولة الطولونية. وقد بقيت ذكرى ابن طولون ماثلة فى أذهان المصريين يتحدث عنها المؤرخون والأدباء ويتناقلونها جيلاً بعد جيل".

٢- وبعد قهر الدولة المصرية الوطنية على أيدى الغزاة رأينا "المصريون المسلمون يدفعون الجزية إلى الحكام غير المصريين لأنهم لم يدخلوا الجيش فكانوا فى ذمة هؤلاء الحكام، ولم يحدث قط أن أخذ المصريون المسلمون الجزية من الأقباط بل كان الجميع خاضعاً لها - فلم يبق لهم جميعاً الأقباط والمسلمين من الدين إلا قاسم مشترك هو العبادة والتصوف أو الرهبانية والسلوك الأخلاقى. وفى هذا العالم المشترك يوحدهم الشعور بالظلم ورجاء الخلاص وينطلق من أفئدتهم دعاء موحد إلى الإله الواحد القهار (احكم) الحاكمين ونصير المستضعفين فى الأرض أو أن يرددوا آدابهم الشعبية التى تمتلئ بأساليب التعبير عن إدانة الواقع والحنين إلى حاكم من جلدتهم لم يمسه الرق فيبثون زفراتهم فى أدبهم، وأصبح هذا الأدب بمثابة مقاومة شعبية لظلم هؤلاء الغرباء وتسيطر على القصص الشعبى صورة المخلص الذى ينتظره الناس بصبر نافذ فيرفع عن كاهلهم الظلم.. ويوزع الأمر بينهم بالقسط كما هو الشأن فى قصة الظاهر بيبرس".

٣- عند هذا الحد، فى تلك اللحظة التاريخية علي وجه التحديد يصعد جيش الوطن إلى المقدمة بوصفه بؤرة إنصهار الوحدة الوطنية فى نفس العملية التى يقف فيها درعاً للوطن.

نقطة البدء كانت وثبة أحمد بن طولون إلى أن جاء محمد على (١٨٠٥-١٨٤٠)، فدخل المصريون مسلمين وأقباطاً، للمرة الثانية إلى صفوف الجيش، قامت أول دولة حديثة كبرى على أرض مصر بعد أجيال من الإنحدار، بدأت معانى النهضة الوطنية والحضارية تدب فى أرجاء الأمة.

كان لابد أن يتحرك أعداء مصر: أفلم تقم الدولة الحديثة الأولى فى الشرق، ستين عاماً قبل ثورة اليابان فى عصر «ميجى» (١٨٦٨)، بدءاً من تأكيد معانى الوحدة الوطنية، ورفع شعار المواطنة علماً ساطعاً فى مقدمة أعلام جيوش مصر.

كان لابد من ضرب الوثبة المصرية من ١٨٤٠ إلى ١٩٦٧، وفى هذا يقول المفكر الكبير الراحل مايلى: "يقدم التاريخ الحديث لمصر نموذجاً بالغ الوضوح والدقة لهذا الإجهاض الدورى، بدأت تجربة محمد على عام ١٨٠٥ وضربت عام ١٨٤٠، ولكن حيوية مصر لم تمت، فنهضت أيام سعيد وإسماعيل لتضرب مرة أخرى بعد مدة متساوية عام ١٨٨٢، ثم جثم الإحتلال على مصر وبدأ الكفاح الوطنى الذى بلغ ذروته عام ١٩١٩ لتبدأ مصر مرحلة جديدة من محاولتها للوصول إلى الصيغة المناسبة للحكم فى إطار الاستقلال. وهنا تعاون الإحتلال والقصر لإجهاض التجربة الليبرالية فى ضربات متوالية. فلما إنتهت الحرب العالمية الثانية وبدأت شعوب العالم مرحلة جديدة من الكفاح ومن بينها شعب مصر ونظراً لأن إمكانات تجاوز التخلف أصبحت تتيح ذلك فى زمن أقل - كانت ضربات الإجهاض تتوالى خلال فترات أقصر مدى مما كان يحدث فى القرن التاسع عشر: قامت إسرائيل عام ١٩٤٨، وحدث العدوان الثلاثى عام ١٩٥٦، ثم حرب ١٩٦٧ - كل عشر سنوات فى المتوسط لتستهلك أولاً بأول كل ما يتراكم من جهد الشعب لتحقيق التنمية فى مختلف مجالاتها مع ما يصحب الضرورات الحربية من ضبط المجتمع كله بالأسلوب العسكرى.

ومن خلال هذا المسح التاريخى، يلفت الراحل الكبير النظر إلى مركزية الجيش فى حياة الوطن من ناحية، ورد فعل هذه الظاهرة فى أعماق النفس الوطنية الجريحة خلال فترات الهوان: "لم يدخل المصريون الذين أسلموا إلى الجيش الإسلامى منذ عهد عمرو إلى محمد على. ولم يحدث أن صار الوالى على مصر مصرياً مسلماً منذ عصر عمرو إلى محمد نجيب. بل أن المصريين المسلمين كانوا يدفعون الجزية إلى الحكام غير المصريين لأنهم لم يدخلوا الجيش فكانوا فى ذمة هؤلاء الحكام. ولم يحدث قط أن أخذ المصريون المسلمون الجزية من الأقباط بل كان الجميع خاضعاً لها".

أى أن الإيجابية والسلبية فى الشخصية المصرية، الأمل والإحباط، الإبداع أو الإنطواء - كلها سلوكيات تنبع من تأكيد استقرار الوطن، فلا تظهر معانى الإرتداد إلى الأركان والأصول، أى ما يمكن أن يطلق عليه الأصولية القومية أو الحضارية، إلا بمثابة رد فعل لإنعدام دور مصر الفاعل فى التاريخ. وفى هذا توكيد، لو إحتاج الأمر إلى توكيد، للفكرة المحورية لمفكر مصر رفيع المقام جمال حمدان: "إن الحقيقة العظمى فى كيان مصر

ونقطة البدء لأى فهم لشخصيتها الاستراتيچية هى إجتماع موقع جغرافى أمثل فى موضع طبيعى مثالى وذلك فى تناسب أو توازن نادر المثال. والموقع والموضع هنا متكاملان جداً فى الدور ومتناسبان إلى حد بعيد فى المقياس، فكل منهما ضخم الحجم أو الخطر، ولكن فى تناسق دقيق وشبه محسوب". وبهذا فإن ثمة خاصة واحدة فى شخصية مصر طوال تاريخها - إمبراطورية كانت أو مستعمرة أو جزءاً من دولة كبيرة "هى يقينا أنها كانت دائماً مركز دائرة... لها محيط وأبعاد، هى مركز الثقل والجاذبية ولها الدور القيادى... ولاشك أن هذه الصفة الجوهرية ... ترتد إلى جذور جغرافية أصيلة وكامنة فى كيان مصر".

من هذه المداخل إلى مسار صياغة المواطنة المصرية واستمرارية الوحدة الوطنية فى قلب شخصية مصر عبر عشرات الأجيال تبين بوضوح أن جيش الوطن كان - دوماً - القالب الفاعل الرئيسى لجمع الشمل وتأكيد الاستمرارية بما إتسم به من تفعيل معانى الندية والمساواة فى الواجبات والحقوق بين جميع المصريين. يستند المفكر الراحل الكبير إلى الأعمال المرموقة التى قدمها طارق البشرى وشفيق غربال وكيف أن "زحف المحكومين إلى مؤسسات السلطة أيام محمد على وبعده"، بدأ من ظهور جيش مصر فى مقدمة الساحة، إليك، مثلاً، المقتطفات من اللوحة الرقيقة التى نسجتها المدرسة التاريخية المصرية، تمزج بين أقلام كبار المؤرخين وأراء وليم سليمان قلادة: "إن قرار التجنيد العام... كان أمراً يستلزم أموراً وتتداعى معه مجموعة من الآثار. وجب به على الحاكم أن يعيد النظر فى علاقته بالشعب كله بطريقة من الطرق، وتغيير الجندى أقتضى من الحاكم أن يغير من نفسه" ولكن هناك ما هو أكثر - إن التغيير إقتضى إلى ذلك أن يغير الجندى وطنه" نفسه، فهذا الجندى الجديد ليس وافداً مرتزقاً بل يشترط فيه أن يكون "مستوطناً فى القرية التى جلب منها وذا أهل وسكن فيها".

وطبيعى أن "يحركه الشعور بالإنتماء إلى الجماعة".

وهكذا لم يعد الإرتباط بالأرض - فى عمليات الإنتاج والصلات الشعبية وما اختزنه ذلك على مدى الأجيال فى الأنشطة والمفاهيم الدينية والإجتماعية والفلكورية، لم يعد هذا كله وحسب هو الذى يكون نظرة المصرى إلى بلاده بل وجب على المحكوم أن يعيد النظر فى علاقته بالأرض وبالشعب، لتضم النظرة الجديدة أن المصرى - المسلم

والمسيحى- بعد أن كان محكوماً وحسب، عبداً للمأمور، صار هو المأمور نفسه، وهو يواصل الزحف ليكون هو الآمر. وإذا كان هذا الواقع الجديد قد فرض على الحاكم أن يحترم المحكوم، فقد ترتب عليه أيضاً أن المحكومين فيما بينهم إزدادت رابطتهم ودخلوا فى مجالات جديدة تتطلب مزيداً من التعاون والإحترام المتبادل والتشارك فى الوصول إلى الرأى الموحد وإلى وضعه موضع التنفيذ، لم يتم ذلك كله دفعة واحدة بل استغرق زمناً، ولكن الطريق قد إنفتح وأصبح من غير الممكن العودة إلى الوراء. والمصريون الذين كانوا من قبل على مدى مئات السنين يعاملون كشعب مهزوم وليس له أدنى نصيب لا فى حكم ولا فى جيش، فتحت أمامهم بلا تفريق أبواب السلطة ليمارسوها معاً فى بلادهم.

"برنامج ثقافة المواطنة"

هل يمكن أن تخطو مصر خطوة جديدة لتوكيد «مبدأ المواطنة»؟ هذا ما يراه مفكرنا الكبير الرائد الراحل، إذ يقدم «برنامجاً شاملاً لتطبيق ثقافة المواطنة» يتمركز حول تسع رسائل:

١- "ثمة نقص خطير فى مناهج التعليم، وهو غياب المرحلة القبطية أى القرون الميلادية الستة الأولى قبل مجئ الإسلام، وفى حقيقة الأمر ينطوى هذا النقص على خلل خطير فى فهم مسار التاريخ المصرى، إذ أن الخصوصية الأساسية لهذا التاريخ هى الاستمرارية التى تعنى إتصالاً حياً بين مراحل هذا التاريخ من مصر القديمة إلى القبطية إلى الإسلامية. وتمثل المرحلة القبطية واسطة الوصل بين هذه المراحل، فقد استوعبت ما سبقها وأثرت فيما جاء بعدها، هذا فضلاً عن الإنجازات الحضارية التى استوعبت ما سبقها وأثرت فيما جاء بعدها. هذا فضلاً عن الإنجازات الحضارية التى حققها المصريون خلال هذه الحقبة سواء فى الداخل أو على المستوى العالمى... مع اسقاط هذه المرحلة من برامج التعليم، ينشأ التلميذ المصرى وقد أصاب ذاكرته الوطنية تآكل ضار. وينغرس فى وعيه منهج نفى الاخر الدينى، وعلى أساس هذا النفى يكون تعامله فى المجتمع. إن جبر هذا النقض يصبح ضرورة وطنية وسياسية وإجتماعية وثقافية، ومن ناحية أخرى فإن مناهج النصوص والقراءة المقررة على التلاميذ تخلو مما يحويه التراث المصرى من ثقافة الوحدة الوطنية - بل إن الجامعات المصرية تخلو من قسم يدرس الحضارة المصرية فى هذه المرحلة،

فكلية الآثار بجامعة القاهرة تدرس المرحلة المصرية القديمة ثم الإسلامية وليس بها قسم للتراث القبطى . وقد أرسل مؤتمر عالمى للقبطيات عقد فى ألمانيا خطاباً إلى وزير التعليم يقول " إن مصر هى المكان الطبيعى لوجود هذا القسم الذى تحرص الجامعات فى مختلف بلاد العالم على أن يكون فيها ... " .

٢- " تأتى بعد ذلك وسائل الإعلام : الصحافة والإذاعة والتليفزيون . هنا توضع خطة تفصيلية تحقق حضور الأقباط والمسلمين معاً فى المقالات والبرامج المتنوعة والدراما ... " .

٣- " أن يتضمن النشاط الثقافى الذى تقوم به وزارة الثقافة بمختلف أجهزتها على أعمال متنوعة يكون مضمونها ثقافة الوحدة الوطنية وأن تقوم على مستوى شعبى ويشمل تأثيره مختلف قطاعات الشعب ... " .

٤- " أن يدخل مفهوم المواطنة بعنصريه : المشاركة والمساواة مادة أساسية فى مقررات الدراسة وبرامج الإعلام وعلى وجه الخصوص فى برامج معاهد إعداد القادة بجميع درجاتهم وأنواعهم ... " .

٥- " أن تجهد الأحزاب السياسية وكذا الأجهزة التنفيذية المختصة فى إعداد كوادر من جميع مكونات الأمة لتشارك فى قيادة العمل الوطنى فى مختلف المجالات ... " .

٦- " عن بناء الكنائس . إرتبطت هذه المشكلة بالفرمان العثمانى المشهور بالخط الهمايونى ، وفى حقيقة الأمر فإن هذا الخط صدر عن الدولة العثمانية عام ١٨٥٦ تحت ضغط الدول الأوروبية لحماية الطوائف المسيحية فى تلك الدولة . . ولذلك فإنه يكفى إعلان عن وزارة العدل بأن هذا الخط لا يدخل ضمن النظم المعمول بها فى مصر ... " .

٧- " ثمة حاجة إلى إبداع سياسى معاصر يواصل ما كانت الحركة السياسية فى مصر تقوم به فى اللحظات الحرجة . فعلى سبيل المثال - اقترح عبد العزيز فهمى أن يكتب الشاعر أحمد شوقى دعاء يردده المصلون فى المساجد والكنائس فى أحد أيام الجمعة قبل سفر الوفد للخارج للمفاوضة إعلاناً لتأييد الأمة بكل مكوناتها للمفاوضين المصريين ... " .

٨- "عن أقباط المهجر. الفكرة الأساسية لفهم الموقف هناك هى أن النشاط المشبوه تقوم به أقلية ضئيلة تستنكره أغلبية كبيرة تلتف حول رئاسة الكنيسة، ومن ثم فإن المواجهة الناجحة لما يحدث هى فى تدعيم موقف الأغلبية وحثها على التحرك. . وفى هذا المجال إقامة معرض للآثار المصرية يعبر عن استمرار الحضارة المصرية عبر مراحلها الثلاث وعن إلتحام جميع مكونات الأمة فى: حركتها الموحدة لاستخلاص سيادة الوطن وحقوق المواطن ومساهمة أبناء مصر جميعاً فى تحقيق المشروع القومى بمختلف جوانبه ... ".

٩- "أن ينشأ مركز لدراسة الوحدة الوطنية سواء من ناحية تاريخها ومقوماتها والمشاكل التى تتعرض لها وغير ذلك. . أو أن يخصص قسم لذلك فى أحد مراكز الأبحاث القائمة. فيكون هذا المركز أو القسم مرجعاً يزود جهات التعليم والإعلام والثقافة السياسية بالمعلومات والخطط والمقترحات التى تدعم هذا الجانب الأساسى فى الحياة المصرية ... ".

القلب الكبير، العقل الكبير، الفكر الكبير - حتى الرؤية الكبيرة، وصية لأمتنا: "لكم نحتاج إلى التقليد الذى أرساه مؤرخو مصر منذ أن بدأ ذلك عبد الرحمن بن عبد الحكم - أن تفتتح كل فكرة وكل عمل بذكر «فضائل مصر»، لتكون هى هدفنا المشترك، على الجهد، ومثوانا الأخير".

***

قال صاحبى:

"أعد! أعد! ... كلمات حلوة، ونور ساطع ... كلمات ... كلمات ...

بالله عليك: لماذا لا نتحرك لإنشاء «المعهد المصرى لدراسة المواطنة؟» ثم ألا يجدر بنا وبالمعهد، إنشاء «جائزة الوحدة الوطنية» تمنح باسم الفقيد الكبير إلى من يفتحون الطريق، السنة تلو الأخرى، أمام إشراق مصر الحضارى، إعلان لرسالتها، توكيداً لقوتها، رمزاً لاستمراريتها؟ ...

يداً فى يد: دعنا نأت عملاً يراه الله ... ".

رحيل صديق

فى وداع وليم سليمان قلادة(*)

بقلم : د. محمد سليم العوا

كلما إختارت يد المنية صديقاً شعر أصدقاؤه بالفراغ الذى خلفه رحيله، ويبقى موضع عطائه من التواصل الإنسانى أو الفكرى أو العملى شاغراً لا يملؤه سواه . . ذلك أن ذوى الأثر الحسن يقلون مع تقدم الزمن، لا فى عددهم وإنما فى معرفتنا بهم، فأنت مع تقدم العمر لا تصنع أصدقاء جدداً، ولكنك تحاول المحافظة على ما صنعت فى ماضى الأيام من صداقات.

كان هذا الشعور يغمرنى حين إجتمعنا ظهر يوم الجمعة الذى كان غرة جمادى الثانى ١٤٢٠هـ و١٠/٩/١٩٩٩م، فى كنيسة مار جرجس بمصر الجديدة، لنودع الصديق الراحل المستشار الدكتور وليم سليمان قلادة . . وبقيت تضاعيف مشاعر الفقد، والنقصان، والتطلع إلى المكان الذى أصبح شاغراً بوفاة وليم . . بقيت تحتوينى حتى تكلم الصديق الجليل الأستاذ طارق البشرى ناعياً رفيق رحلة قضائية طويلة، وصديق حياة فكرية وثقافية غنية وعميقة، وشريك حوار استمر أربعين سنة أو تزيد فى الشأن الوطنى والقومى وفى التاريخ والمستقبل المصرى، وفى الجماعة الوطنية التى تتنوع روافدها، وتختلف بين هذه الروافد رؤاها، ولكننا نتفق فى النهاية فى نبل غاياتها وصدق مقاصدها وإخلاص نواياها.

قال المستشار طارق البشرى - وأنا أذكر المعنى لا اللفظ - إنه ينظر فى لحظة الوداع ويقين الرحيل إلى ما خسرناه - نحن فى الجماعة الوطنية المصرية وفى جماعة المهتمين بالفكر السياسى القومى والوطنى والدينى - بوفاة وليم. ولكنه ينظر إلى حالنا قبل أن يكون وليم جزءاً من هذه الجماعة، وحالنا بعد خمسين سنة من عطائه المخلص الصادق مع

(*) مجلة الهلال نوفمبر ١٩٩٩.

النفس لجماعته الوطنية . هذه النظرة تدل إلى ما كسبناه من حياة وليم الحافلة «٧٥ عاماً» وإلى البركة التى أضافها عطاؤه إلى رصيد الفكر المصرى، وإلى وسائل صناعة الجماعة الوطنية الواحدة، التى تضيف بنضالها، وبالمعاناة فى سبيل المحافظة عليها إلى إيمان المسلم بإسلامه وإلى تصديق القبطى بمسيحيته . فكل منهما يأتى إلى هذه الجماعة بعقيدته فيضيف منها إلى العمل الوطنى والفكر الوطنى، ويستفيد من الحياة فى ظلها زاداً جديداً يقوى به يقينه بإيمانه، وإطمئنانه النفسى إليه، وسعادته بالحياة فى ظله .

العمل الصالح

عندئذ فقط رأيت جانباً جديداً من جوانب المشاعر التى ينفعنا استحضارها عند فقد صديق ووداعه، هو جانب الخير الذى سببه عمله وقوله وعلمه، وتذكرت أن هذا هو الذى لفتنا إليه الحديث النبوى الصحيح : "إذا مات ابن آدم صحبه إلى قبره ثلاثة، فيرجع اثنان ويبقى واحد. صحبه ماله وأهله وعمله، فيرجع ماله وأهله، ويبقى عمله" . إن هذا العمل لا يبقى مع صاحبه فى الحياة الجديدة التى ينتقل بوقوع الموت إليها فحسب، ولكنه يبقى بعده فى الدنيا التى غادرها، فتتصور به صورته عند الذين لم يروه، وتحتفظ ذكراه ببهائها عند الذين عرفوه وإكتشفوا فضائله .

وقد كان مشهد وداع وليم سليمان قلادة مشهداً فريداً يدل بذاته على الروح التى عاش بها، والمجد الذى صنعه لوطنه وكنيسته، والحب الذى حفظه له أصدقاؤه . كان فى الجنازة عدد كبير من الكهنة الأجلاء، يتقدمهم الأنبا موسى أسقف الشباب، وكان فيها كبار مستشارى مجلس الدولة يتقدمهم رئيس المجلس المستشار حنا ناشد وأمينه العام المستشار يحيى عبد المجيد "ووليم ترك المجلس منذ عام ١٩٨٤" . وكان فى الصف الأول من الحضور من أصدقائه المسلمين المستشار طارق البشرى والإعلامى الكبير أحمد فراج والدكتور محمد عمارة والدكتور أحمد حمدى، وجلس بين أهله وأقاربه الدكتور نور فرحات والأستاذ نبيل عبد الفتاح وآخرون كثيرون . ومعظم هؤلاء جاءوا وهم لا يعرفون من أسرته أحداً ولكنهم أرادوا التعبير عن مشاعر الوداع لصديق عاش معهم أعمارهم كلها - فكلهم يصغرونه فى السن - وهم يستمتعون بصحبته الفكرية والإنسانية، حين يتفقون وحين يختلفون .

ولم يكن هذا الجمع إلا شبيهاً بجمع آخر كان محوره وليم سليمان قلادة «حيا» . ففى مساء يوم ١٧/ ٦/ ١٩٩٩ دعانا الصديق الأستاذ سمير مرقس - مستشار المركز القبطى للدراسات الإجتماعية - إلى لقاء لتكريم وليم سليمان قلادة فى عيده الماسى، لمناسبة بلوغه خمساً وسبعين سنة .

وأدار اللقاء الأخير مع وليم - بالنسبة لكثيرين منا - الأنبا موسى نفسه وتحدث بصفة رئيسية فيه المستشار طارق البشرى نفسه . . ولذلك قلت لأحد الأصدقاء : لقد جمعنا وليم حياً وميتاً .

كان وليم سليمان قلادة ظاهرة مصرية خالصة . وكان - كما يصفه طارق البشرى - " الكتب : وجهات نظر . أكتوبر١٩٩٩ " تعبيراً عن واحدة من ركائز الفكر السياسى الذى تقوم عليه الجماعة الوطنية فى مصر . ووليم ، فى حياته الفكرية ونشاطه العام، لم يكن إلا خادماً بإخلاص وفى نسك لجماعتيه اللتين منحهما كل جهده الفكرى وقدراته الثقافية وهما جماعته القبطية الأرثوذكسية الخاصة من رعايا الكنيسة المصرية ، وجماعته السياسية المصرية العامة " . ولذلك - أو لعله لذلك - سمى طارق البشرى مقالته تلك «صفحات من كتاب المصريين» وأنت واجد فيها - إن شئت تخليص الابريز ، من جهد وليم فى الجماعتين وعلى الجبهتين ، بحيث يتبين لك باليقين ، الذى لا ريب فيه صدق الوصف الذى نقلناه عن طارق البشرى وصفاء عطاء وليم لوطنه بجماعتيه القبطية الخاصة والمصرية العامة .

ويستوقف القارئ لتراث الدكتور وليم سليمان قلادة ، بالإضافة إلى عطائه الثرى فى موضوع وحدة الجماعة الوطنية ، وهو ما عرضه بالتفصيل المستشار طارق البشرى فى دراسته سالفة الذكر ، أمران : أولهما ، أثر عقيدته الدينية فى مواقفه الوطنية والسياسية ، وثانيهما ، جهده فى الكتابة التاريخية عن القانون المصرى .

الطريق إلى الوطنية

كانت قبطية وليم هى طريقه إلى الوطنية . يشهد على ذلك كل ما كتبه عن المواطنة ، والكنيسة ، والأقباط والمسلمين ، كما تشهد عليه مساهماته الكثيرة فى وجوه النشاط

الثقافى والفكرى مصرياً وعربياً ودولياً. ومساهمة الدكتور وليم فى الفريق العربى للحوار الإسلامى المسيحى - وقد شاركت فى جميع أعماله التى شارك فيها - كانت تبدأ دائماً من منطلق إيمانه القبطى الأرثوذكسى لتقوده إلى موقف يتسم بالحرص على الوطن والدفاع عن مقوماته ومكونات جماعته.

وكتبه الناطقة بذلك كثيرة، وأحب أن أقف بالقارئ عند واحد فقط منها هو كتابه المعنون «مدرسة حب الوطن» وهو يقصد بهذه المدرسة الكنيسة القبطية المصرية.

وفى هذا الكتاب يتحدث الدكتور وليم عن الكنيسة وما تعلمه لأبنائها مما يرتله كهنتها من صلوات من أجل الوطن «مصر» وعن عمق الإنتماء المصرى فى الوجدان القبطى. وهذا الشعور القبطى القوى يجاوره - فى الكتاب كما فى فكر صاحبه - وعى بحقيقة النظرة الإسلامية إلى مصر. ووليم بإعتباره مؤرخاً، يستجلى هذه النظرة من رحلته فى كتب التاريخ المصرى التى كتبها المؤرخون المسلمون، فيذكر كتاب عبد الرحمن بن عبد الحكم «فتوح مصر وأخبارها» وكتاب المقريزى «الخطط» وكتاب محمد بن أبى السرور البكرى «الكواكب السائرة فى أخبار مصر والقاهرة»، وأخيراً كتب رفاعة رافع الطهطاوى التى نشرها الدكتور محمد عمارة فى أعمال الطهطاوى الكاملة.

ويقف الدكتور وليم من هذه الكتب عندما يعرفه التاريخ جيداً من قصة تأمين عمرو بن العاص - رضى الله عنه - لبطريرك الإسكندرية بنيامين الذى كان هارباً لمدة ثلاث عشرة سنوات - قبل الفتح الإسلامى لمصر من بطش الرومان وجورهم، فأمر «عمرو» بإحضاره بكرامة وإعزاز ومحبة، فلما رآه أكرمه وقال لأصحابه إن فى جميع الكور التى ملكناها حتى الآن ما رأيت رجل الله «يقصد كاهناً» يشبه هذا.. ثم قال له: "جميع بيعك ورجالك أضبطهم ودبر أحوالهم.. وانصرف من عنده مكرماً مبجلاً.." .

ولعل هذه الواقعة التاريخية هى أساس الاستقلال الذى تتمتع به الكنيسة المصرية القبطية منذ دخل الإسلام إلى مصر حتى الآن، وهو الإستقلال الذى جعل وليم نفسه يصف الكنيسة بأنها "أقدم مؤسسة شعبية مستقلة على أرض مصر"، ويرى فى هذا الاستقلال الكنسى دافعاً مصرياً - صرفاً لحركة الاستقلال الوطنى «مدرسة حب الوطن» ص٢٦.

ويؤكد وليم من خلال نقول متعددة عن كتب المؤرخين المسلمين المشاعر الدينية الخاصة التى يحملها المصريون المسلمون لبلادهم حتى يصل إلى كلمة الطهطاوى الخالدة «عندنا نحن معشر الإسلام حب الوطن شعبة من شعب الإيمان» (المصدر نفسه، ٢٩).

ويحتفى وليم بالدعاء الجميل الذى صنعه أمير الشعراء أحمد شوقى ليرفع تضرعاً إلى الله سبحانه وتعالى فى المساجد والكنائس فى أثناء مفاوضات سنة ١٩٢٢ بين الوفد المصرى والحكومة الإنجليزية، ويورده فى عدد من كتبه بنصه الكامل ومناسبته التى قيل فيها، ويعلق عليه بقوله: "هذه لحظة بالغة العمق خصبة الدلالة، يؤكد فيها المصريون وحدتهم من خلال إحترام متبادل لتدين كل مكونات الأمة، فى تعبير فنى رفيع" (مدرسة حب الوطن ٣٣، ومبدأ المواطنة، ٢٠٦، والعلاقات الإسلامية المسيحية فى الواقع المصرى، ٣٣٣).

وعلى الرغم من إنتقاد الدكتور وليم سليمان قلادة لحركة الاخوان المسلمين ومؤسسها الأستاذ الإمام حسن البنا (العلاقات الإسلامية المسيحية فى الواقع المصرى، ٣٣٥ - ٣٤٠ - ومبدأ المواطنة، ١٥٢ - ١٥٥) من ناحية الأداء السياسى، فإنه لا يتردد فى أن ينقل عن مذكرات الدعوة والداعية نصاً نفيساً عن مشاركة حسن البنا نفسه فى المظاهرات الوطنية التى حركتها ثورة ١٩١٩، وينقل بيتى شعر ذكر حسن البنا أن المتظاهرين كانوا يرددونهما هما:

حب الأوطان من الإيمان
وروح الله تنادينـــــا
إن لم يجمعنا الإستقلال
ففى الفردوس تلاقينا

ويلخص الدكتور وليم حصيلة النص الذى نقله عن مذكرات «المرشد الأول» فيقول عنه إنه:

أولاً: يحفظ الأناشيد العذبة التى تنادى بأن حب الأوطان من الإيمان متابعاً في ذلك ما قاله الشيخ رفاعة الطهطاوى فى مختلف مؤلفاته.

وثانياً : يعتبر أن هذا الحب إنما هو إستجابة لنداء روح الله .

وثالثاً : يعتبر أن مثوى شهداء الإستقلال إنما هو الفردوس .

ولا يفوت الدكتور وليم أن يذكر قراءة فى «مدرسة حب الوطن» بالصياغة التى أدلى بها رفاعة الطهطاوى فى شأن العلاقة بين المسلمين والأقباط ، فينقل عن كتاب الطهطاوى «مناهج الألباب المصرية فى مباهج الآداب العصرية» قوله "إن جميع ما يجب على المؤمن لأخيه المؤمن يجب على أعضاء الوطن فى بعضهم ، لما بينهم من الأخوة الوطنية لإنتفاعهم جميعاً بمزية النخوة الوطنية" . ويعتبر وليم – فى تحليله النهائى لنص الطهطاوى "أن الإجتهاد الفقهى والتنظيم الدستورى والحياة الإجتماعية فى مصر لابد أن ينطلق هذا كله ، من المبدأ الأساسى الذى يعبر عن الكيان المصرى ، الأخوة – النخوة الوطنية" (مدرسة حب الوطن ، ٧٣) .

إحترام حقوق الإنسان

وهكذا يبدو لنا وليم مفكراً وطنياً صادقاً تعلم الوطنية فى مدرسته الأولية – كما يسميها – كنيسته القبطية وراح يبشر على إمتداد حياته الفكرية بهذا الدرس القبطى الذى وعاه جيداً ، حتى إنه وهو يختم دراسته اللاهوتية المتفردة عن الرسالة المعروفة باسم «تعاليم الرسل» أو «الدسقولية» لا يفوته أن يرى فيها سبيلاً إلى ضمان إحترام حقوق الإنسان فى مجالات الحياة كافة ، وإلى تأكيد يقينية التقدم وتجاوز التخلف (الدسقولية ، ص٣٤٥) .

وبذلك يبدو لنا الدكتور وليم ، وهو يقدم أقدم نص كنسى لاهوتى . لا فى صورة راهب يعيش معزولاً فى صومعته ، ولا فى صورة كاهن تؤرقه معاناة شعبه ، وإنما فى صورة مفكر سياسى يتخذ من عقيدته المسيحية سبيلاً إلى تحقيق سعادة الإنسان وتحسين ظروف معيشته وضمان حقوقه .

الأمر الثانى الذى أحب أن أثنى على جهود الدكتور وليم فيه هو ما كتبه فى التاريخ للنظام القانونى المصرى .

وتحت يدى من آثاره التاريخية القانونية نصان أولهما هو بحثه الذى قدمه إلى المؤتمر

الخمسينى للقانون المدنى المصرى (١٩٩٨) وهو بعنوان صناعة القانون المدنى المصرى. وأهم ما يتضمنه هذا البحث هو أن الدكتور وليم يضع القانون المدنى المصرى واحداً من مظاهر الحركة المصرية العامة التى مضى فيها شعب مصر لإستخلاص السيادة السياسية والتشريعية والقضائية.. ويأتى القانون المدنى نموذجاً بارزاً لهذه الحركة التى استطالت إلى مائة وخمسين عاماً يوم صدوره (ص١ من بحثه المذكور). ويعرج وليم بالقارئ ليطلعه على موقف الإحتلال البريطانى من محاولات المصريين صنع قانونهم الوطنى، وموقف سعد زغلول المناقض لخطة الإنجليز، والصراع الفرنسى الإنجليزى للسيطرة على مدرسة الحقوق المصرية لصبغ رجال القانون المصريين بصبغة إحدى الثقافتين (ص ٣ - ٤ - و٦).

وحين يتناول وليم فى أربع صفحات من خمس عشرة صفحة مسألة العلاقة بين القانون المدنى المصرى وبين الشريعة الإسلامية ينتهى إلى أن المناقشات التى دارت حول نص المادة الأولى من القانون المدنى التى جعلت الشريعة الإسلامية من بين المصادر الرسمية للقانون المصرى، قد أصبح لها أهمية بالغة فى تفسير نص المادة الثانية من دستور ١٩٧١ الذى ليس له أعمال تحضيرية يمكن الرجوع إليها. ذلك أن كلا من نص القانون والدستور يميل إلى مبادئ الشريعة الإسلامية كمصدر للتشريع، وقد أوضحت المناقشات التحضيرية للقانون المدنى أن هذه المبادئ تستمد دون تقيد بمذهب معين (ص ١٢، من البحث نفسه).

ويختتم الدكتور وليم حديثه عن تاريخ القانون المدنى الجديد برواية ينقلها عن الدكتور سليمان مرقص - أحد الفقهاء الذين ساهموا فى صنع القانون - أنه بعد الإنتهاء من صياغة النصوص شكلت لجنة من بعض أساتذة اللغة العربية والأدباء لوزن «رنة النص» كما لو كان كل نص وتراً فى آلة موسيقية يجرى إختيار رنينه (ص ١٣) وهى واقعة عظيمة الدلالة على إهتمام صناع القانون المدنى، وعلى رأسهم العلامة السنهورى بلغة النص لا من حيث سلامتها وصحتها ووضوح دلالتها فحسب، وإنما من حيث وقعهما على الأذن حين تسمعها وأثرها فى النفس حين تطالعها العين. ولذلك حق لهذا القانون أن يكون مثلاً يحتذى في التشريع العربى كله.

والنص الثانى، تحت يدى، من نصوص الدكتور وليم فى التاريخ للقانون المصرى هو

نصه النفيس عن تاريخ مجلس الدولة ودوره فى المجتمع المصرى، وهو نص نشرته مجلة الدولة فى عدد سنتها السابعة والعشرين، وهو نص طويل يشغل من صفحة ١١٩ إلى صفحة ٢٣٠ من ذلك العدد.

وعلى الرغم من أن عنوان هذا البحث يوحى بأنه يتحدث عن تاريخ الهيئة القضائية التى أمضى فيها الدكتور وليم جل حياته العملية (١٩٥٥ - ١٩٨٤) إلا أنه فى جوهره ومحتواه تأريخ للقانون الإدارى فى مصر ولدور المجلس فى إرساء قواعده، نقلاً من تطبيقات القانون الخاص، أو إبداعاً جديداً يوائم بين الأصول القانونية وبين إحتياجات الحياة السياسية والإدارية المصرية.

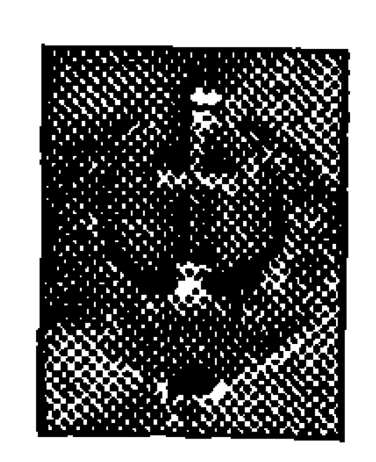
ومن أمتع ما تضمنه هذا البحث تحليل الدكتور وليم لفتوى قسم الرأى الصادرة فى أول أغسطس ١٩٥٢ رداً على سؤال رئيس مجلس الوزراء «على ماهر باشا» بما إذا كان يمكن إنشاء نظام وصاية مؤقت على عرش البلاد إلى أن يتمكن الأوصياء المعينون من الملك المتنازل عن العرش «فاروق» من ممارسة سلطاتهم الدستورية بعد أن يوافق البرلمان عليهم «وكان البرلمان آنذاك منحلاً»، ويرى الدكتور وليم أن هذه الفتوى هى أخطر الفتاوى القانونية فى تاريخ مصر المعاصر لأنها هى - كما يقول عبد العظيم رمضان - التى حولت مسار الثورة ووضعتها على طريق الإحتفاظ بالسلطة والإستمرار فى الحكم. وفى تحليل رصين يستغرق ثمانى صفحات لا يكتفى الدكتور وليم برصد المضمون القانونى للفتوى. ولكنه يوقف القارئ على خلفياتها السياسية ودوافعها الحزبية وداعى موافقة تسعة من العشرة المستشارين عليها. ممثلة فى سوء العلاقة بين مجلس الدولة ومجلس النواب.

وفى البحث نفسه دراسة عميقة لقصة قانون الإصلاح الزراعى وقوانين مجلس الدولة المتعاقبة، والمبادئ الأولى التى أرستها المحكمة الإدارية العليا، والتطور القانونى - تشريعياً - الذى فاجأ الجميع بعد صدور دستور ١٩٧١ فألغى بنصوص قانونية كثيراً من تلك المبادئ وهدمها رأساً على عقب.

كان الدكتور وليم سليمان قلادة - إذن علامة ظاهرة فى الفكر الوطنى، وفى التوثيق التاريخى، وفى الإيمان القبطى، ولكنه فوق ذلك كله، كان مصرياً صميماً خالصاً، قدم لوطنه ما يستحق عنه أن يذكره هذا الوطن ذكراً حسناً ويثنى عليه به ثناء مستحقاً.

ثانياً : مقالات حول
الدكتور وليم سليمان قلادة

- مدرسة حب الوطن.	د. رفعت السعيد.
- المدرسة الوطنية للنزاهة والصالح العـــام.	أ. نبيل عبد الفتاح.
- مدرسة حب الوطن.	د. أحمد عبد الله.
- الرجل الذى حطم أغلال المساجين.	أ. رشدى أبو الحسن.
- خواطر شخصية.	أ. چورج اسحق.
- وليم سليمان قلادة مازال بيننا.	أ. هانى لبيب.



صفحة من تاريخ مصر :

مدرسة حب الوطن(*)

د. رفعت السعيد

كانت أمى رحمها الله - تمتلك مخزوناً من الأمثال والأقوال الحكيمة وكانت تردد دائماً "اللى خلف أولاد مامتش" . وفى زماننا السخيف والخالى من الفطنة ، وحيث يتنكر الناس لكبار المفكرين أحياءً وأمواتاً نضطر إلى صك حكمة جديدة تؤكد أن الذى كتب جيداً . . لم يمت .

وأستاذنا الراحل د. وليم سليمان خلف لنا عشرات الكتب الممتعة والحكيمة . . ولهذا سيبقى دوماً قائماً وشامخاً فى وجدان الوطن .

وليم سليمان قانونى مخضرم، ومؤرخ فى ثياب كاتب . . لكنه إن درست كتاباته يتبدى أمامك مؤرخاً متكاملاً، يعزف وبإقتدار معزوفة حب الوطن فى كل سطر من كتاباته . . وقبل رحيله بأسابيع قليلة أهدانى كتابين دفعة واحدة . «مدرسة حب الوطن و«مبدأ المواطنة» .

كان وليم سليمان مصرياً تؤرقه مصريته ، بل وتوجعه مصريته ، وخاض بحر النضال من أجل الوحدة الوطنية وحقوق المواطنة الكاملة للمسيحيين المصريين بهدوء العالم وحكمة القانونى ومقدرة المؤرخ . . لكنه ظل يخوضها وهو هادئ بل ومبتسم وكأنه يعرف النتيجة مقدماً. كان واثقاً أن مصر قادرة على تضميد جراحها . . وأنها ستراوغ بفعل مراوغة البعض لكنها ستفعل فى نهاية الأمر . .

يحدثنا وليم سليمان فى كتابه «مبدأ المواطنة» قائلاً بهدوء وتأن إن الضمان الأكيد

(*) جريدة الأهالى ١ ديسمبر ١٩٩٩ .

للحياة المشتركة هو وجود وجهة نظر مشتركة، وإيمان ورؤية واعية يتفق عليها الجميع ويتحركون بمقتضاها . . وتقدم التعددية الدينية للعقل المصرى معيناً فعالاً، لأنها أتاحت له الفرصة لإطلاق قدراته على الصعيد الإجتماعى، فقبوله بتعايش المطلقات، جرد المجال الإجتماعى من الطبيعة المطلقة، ونقطة البداية فى اللقاء الأصيل بين الإسلام والمسيحية هى الحياة المشتركة التى إرتضاها أصحاب الدينين" (ص ١٨١).

وهو يدعو إلى مجتمع ينفى مبدأ الإستبعاد المتبادل بل يتيح المجتمع لكل فرد أو جماعة أن يشارك فى بنائه، "النظرة تكون من خلال عينين لا بعين واحدة، فى المجتمع التعددى يتسآءل كل طرف دائماً عن رأى رفيقه فى أى شئ يعرض للمجتمع" (ص ١٩٢).

وهو يتحرك كقانونى قائلاً: "إن الهدف هو إقامة فقه المواطنة أى النظام الشامل . . السياسى والدستورى والقانونى والإدارى والإقتصادى الذى يكون منطلق التعامل وآلياته داخل الدولة والمجتمع هو «المواطنة» أى المشاركة والمساواة . . دون نظر إلى دين أو أصل" ويشير إلى التقرير المقدم إلى المؤتمر المصرى الذى عقد عام ١٩١٢ فى أعقاب محاولات للتآمر على الوحدة الوطنية، مقتبساً منه العبارة التالية "إن الخطأ الفادح هو تقسيم الأمة المصرية بإعتبارها نظاماً سياسياً إلى عنصرين دينيين - أكثرية إسلامية وأقلية قبطية، لأن مثل هذا التقسيم يستتبع تقسيم الوحدة السياسية إلى أجزاء دينية، أى تقسيم الشئ إلى أقسام تخالفه فى الجوهر" (ص ١١٣).

. . لكنه يؤكد فى كل موضع، وهو على حق تماماً أن إفتراض وحدة الأمة بغض النظر عن الدين يفترض بالضرورة وبالحتم إعمال مبدأ المواطنة بغض النظر عن الدين . . فالأمران متلازمان، تلازماً حتمياً . .

وفى كتابه «مدرسة حب الوطن» يقول وليم سليمان "لم تتحدد العلاقة بين مكونات الجماعة المصرية الأقباط والمسلمين من خلال فحص مباشر بين الطرفين، أو بناء على صياغة نصوص، أو نظريات موضوعة أو مستوردة من المكان والزمان، بل ثمة واقع شامل يستوعب الجميع، وحركة على صعيد الواقع المعاش صهرتهم معاً فصار هذا الكيان المتفرد" (ص ٣٧).

ويقول إن "بصمة المسلم والقبطى مطبوعة فى كل قطعة أرض، وعلى كل حجر، وفى كل صفحة من كتاب العمل الوطنى، ما هى المشكلة إذن؟ المشكلة كما يراها وليم سليمان تكمن فى الأغلبية الصامتة التى سمحت بصمتها للبوم المتأسلم أن يهز أركان الوحدة الوطنية . . لكن لهذا الصمت أسبابه الكامنة فى ممارسات الإعلام والتعليم والممارسات الإدارية الرديئة وغير الحصيفة . . وفى هذا يقول "إن هذه الأغلبية الصامته الصامدة هى السند والأمل، لقطع حلقات هذا المسلسل الردئ الذى يرفضه المصريون جميعاً، ولولا هذه الأغلبية الصامتة الصامدة لأنهارت مصر منذ زمن . إن واحداً من أهم أسباب الأزمة التى نعانى منها هو تآكل الذاكرة الوطنية . . ليس التآكل وحسب بل والإسقاط والمسخ والتشويه" (ص ٣٩) .

ولو مضينا مع وليم سليمان ما أمكننا أن نكتفى بهذه المساحة ولا بأضعافها . . لكن صوت وليم سليمان الهادئ والهادر فى آن واحد يبقى قادراً على أن يلفت نظرنا . . أن يؤنبنا، بل وأن يؤدبنا ليلقنا أسرار الوحدة الوطنية، مؤكداً، مقرراً، مصمماً على أنه لا وحدة وطنية بلا حقوق مواطنة متكافئة . .

بلا تعليم وإعلام وممارسات رسمية تعمل لمسح هذه الرسوم الشوهاء عن جبين الوطن لتعيد طلاءه ومن جديد بما كان عليه دوماً . . عندما كانت مصر وطناً لكل أبنائها على قدم المساواة . .

فسلام لوليم سليمان . . وستبقى كتبه لنا ذخيرة وسلاحاً فى معركتنا .

وليم سليمان قلادة :

المدرسة الوطنية للنزاهة والصالح العام(*)

نبيل عبد الفتاح

جاء خبر رحيل أستاذنا الجليل وليم سليمان قلادة روحاً شفافة إلى الأبدية، بمثابة جرح عميق فى كتاب أحزان الزمن المصرى الرمادى الذى يحيط بمشاعرنا وأحاسيسنا، ويكاد يعتصر روح مصر فى لحظة دقيقة وفارقة فى تطورها السياسى والثقافى وهى تبحث قلقة ومترددة بين خيارات متعارضة فى عالم كوكبى يكاد يفلت من بين أيديها الحس والإدراك بزمنه وإيقاعاته الصاخبة. نزل خبر إنتقال الفقيه والمفكر المصرى الكبير إلى الملكوت بمثابة تنبيه قاس بأن جيلاً كاملاً من الأفكار والرؤى والشخوص أدى واجبه الوطنى فى تضحية وتفان، وأن تجديد أدوار هذا الجيل هى وديعة وإلتزام، وطائر فى عنق الأجيال المتتالية فى حركة الثقافة والوطنية المصرية. إن جيل وليم سليمان قلادة، والأدق عناصره الشريفة والمحترمة والنزيهة - قدم للحياة العامة نموذجاً فريداً، ندر أن يكون له مثال فى الأجيال المتتالية التى تعود بعضها على الشكوى بلا سبب، والمطالبة بلا أداء. على مستوى العمل العام، كان متفرداً بين رموز لامعة لم تقترب من ذوى السلطة السياسية طلباً لموقع، أو سعياً لمغنم فى عصور كان التكالب على الثروة والسلطة - يتم عبر المداهنة والنفاق والمخاتلة، والدسائس، وأسوأ من ذلك بكثير. ظل الرجل طيلة عمره المديد - وآخرون - مستقلاً يعمل فى دأب الرهبان والمتصوفة والمتبتلين على إنجاز عمله كرجل قانون وقضاء ومؤرخ ومفكر وطنى دون سعى لوزارة أو منصب. ظل هؤلاء يؤدون ما يعتقدون أنه الصالح العام، وهذا الموقف لدى الراحل الكبير - وأصدقاء وزملاء له عديدون - يمثل مدرسة الوطنية المصرية، أو ما سماه فى أحد كتبه مدرسة حب الوطن - أو فلنقل مدرسة الصالح العام الوطنى، وهى إتجاه مصرى أصيل ومستقل حاول أن يمارس فى كتاباته

(*) جريدة الأهرام ١٤ سبتمبر ١٩٩٩.

ودراساته وعمله فى إطار معايير وقيم وأخلاقيات الصالح العام، وأولوياته وعبر تنزيه النفس واليد من الإنغماس فى نزاعات المصالح وإضطراب الأهواء الذى تشهده دائماً الحياة العامة فى مصر، كان الرجل الكبير يمقت الأضواء الخادعة فى زمن شكل بريق الإعلام المرئى والمكتوب والمسموع فى مصر غمامة على العيون تضطرب معها العقول، وتنصرف عن تقدير أوزان وأقدار أكابر المثقفين، فيعلو الصغار ومحدودو الموهبة والكفاءة على جواهر الألباب المصرية بتعبير أستاذ الأجيال الطهطاوى. رغم العنت الذى واجه هذه العناصر المتميزة طيلة خمسة عقود ويزيد ظل هذا النسل الفريد والموهوب يعمل على مشروعه الفكرى فى دأب وتفان ودقة، ومن أبرزهم أستاذنا وليم سليمان قلادة الذى إتسم شأن الكبار. الكبار بالتواضع والنبل وهما من سمت العلماء الزاهدين، فضلاً عن طيبته الذكية التى تند عن القوة والرصانة، والإيمان العميق بدينه ووطنيته ووحدة شعبه وإمكانيات بلاده الثقافية وقدرتها على مواجهة مشكلاتها، واللحاق بالأزمنة الجديدة، رجل إكتسى بالتقشف النابع عن عفة اليد، والنزاهة والصرامة الأخلاقية، نموذجاً يحتذى للرجل والمواطن الشريف القدوة والمعطاء دون مَنْ. أثرت أن أشير إلى ملمح شخصى من ثراء شخصية الراحل الكريم، فما بالنا إذا ركزنا على رجل القانون والقاضى النزيه والعالم المتفقه فى القانون المدنى، وفى فرعى القانون العام الدستورى والإدارى، وفى فهمه المدقق للقواعد القانونية والمبادئ القضائية، ولدوره فى مجال العقود الإدارية، خذ مثلاً رصانته ودقته وإقتصاده فى اللغة، حيث فصاحة المعنى وإنضباط اللفظ، وتناغم الموسيقى دونما خلل أو إرتباك فى السياق، أو الدلالة، باحث ومحلل قانونى وفقيه ضليع من سلالة يقف على رأسها فقيه الفقهاء أستاذنا عبد الرازق السنهورى، وصحبه وديع فرج، وأحمد حشمت أبو ستيت، وحلمى بهجت بدوى، ورمزى سيف، وأستاتذتنا الكبار وليم سليمان قلادة، وسليمان مرقس، وعبد المنعم فرج الصده وحسن كيره أستاذى العظيم، وثروت أنيس الأسيوطى، وتوفيق فرج، وعبد المنعم البدراوى، وجمال زكى وجميل الشرقاوى وغيرهم عديدون، شكلوا جميعاً وفى تخصصات قانونية شتى أهم بناة الحداثة المصرية فى القانون والسياسة والثقافة، لأن الجماعات القانونية المصرية الفقهاء والمحامون والقضاة - هم أباء وأحفاد الحداثة، ورعاتها.

إن دور الأستاذ الكبير والمفكر البارز وليم سليمان قلادة فى الحياة الفكرية والوطنية

متعدد وغنى، ولكن دوره فى التأريخ للوحدة الوطنية المصرية نسيج وحده فى تركيزه على حركة الشعب - المحكومين - سواء فى «الثورات» إزاء الحكام المستبدين، والاستعمار، أو فى الحركة الوطنية الدستورية التى صاغت حركة المواطنة والمساواة بين الناس.

كان فقيد الوطنية المصرية الكبير رجل حوار فى موضوعية وعمق ورصانة، وكانت كتاباته رائدة فى الحوار الدينى الذى وصف منهجه أستاذنا الفيلسوف زكى نجيب محمود بأنه "يسير على طريق قد يظنه الآخرون طريقاً شائكاً، لكنه يسير على هذا الطريق وكأنه ينزلق على غطاء من حرير، فالنظرة منزهة مجردة عن الهوى، والرأى ثاقب يتناول المشكلات فيبديها وكأنها ليست بالمشكلات، والنفس هادئ مطمئن، والثقة بالنفس بادية فى كل سطر، والحياة المشتركة بين الأديان فى مصر مبسوطة أمامنا فى وضوح يبين كيف ساد الآخاء وسادت المحبة والتعاون دون تكلف ولا تصنع ولا رياء».

هكذا تحدث فيلسوفنا الأكبر زكى نجيب محمود عن كتاب الحوار بين الأديان، الذى وصفه بأنه من أهم ما أصدرته المطبعة العربية. كم نحن بحاجة إلى تجديد أواصر الإندماج القومى المصرى بروح إنسانية متفتحة على الثقافات الأخرى، من خلال تجديد النظام السياسى ونظم المشاركة وآلياتها فى ظل دولة القانون والمساواة والمواطنة وحقوق الإنسان، حيث لا فرق بين مواطن وآخر إلا بالكفاءة والموهبة والعمل الوطنى النزيه، وإحترام القانون.

إن الحاجة تبدو ماسة الآن لإعادة طبع مؤلفات الراحل الكبير ضمن مكتبة الأسرة، ومن خلال مطبوعات الهيئة العامة للكتاب، ولسنا فى مجال تقويم ما تصدره من كتب ولا قيمة غالبيتها - ويمكن للمجلس الأعلى للثقافة الإعداد لندوة كبرى على شرف اسم الراحل الكبير حتى يتجدد الإحساس لدى الأجيال الجديدة أن العطاء للوطن بلا حدود وللصالح العام دون ضجيج أو إدعاء لايزال قيمة كبرى وموضع إحترام الدولة والمجتمع.

وليم سليمان قلادة :

مدرسة حب الوطن(*)

د. أحمد عبد الله

"البركة فى الشباب" آخر كلمتين قالهما لنا الدكتور وليم سليمان فى المستشفى ... "نعم . . لكنك بنفسك معنا، فنحن حين نشعر باليأس نستمد الأمل من نموذجكم فى المثابرة" هكذا كان ردنا الذى لا مجاملة فيه، فتلك هى الحقيقة التى ما برح الرجل والمثابرون من أبناء جيله يؤكدونها حتى آخر زفرة نفس فى حياتهم، فالمريض الذى حضرنا لنعوده على فراش المرض تحول بقدرة قادر إلى - حصان أبيض بالفعل لا بالمجاز - يرمح فى إنتعاش وهو يتحدث فى شأن الثالوث الناسوتى، الذى كان فى قلبه وعقله كقدس الأقداس، وعلى لسانه وقلمه كنشيد الأناشيد، بل وفى بدنه وعلى أسارير وجهه كإنتعاشة المستحم في ماء الوطن الطهور.

لم يغلق وليم سليمان جدول الأعمال على باب المستشفى وأظنه سيبقيه مفتوحاً فى عالم الخلود، فالبنود المعلقة لم تزل كثيرة.

١- كيف سيتصرف «الوطن» فى عالم «العولمة»؟ بل هل سيبقى الوطن وطناً؟

٢- أين «الوطنية» من إنتماءات الجيل الجديد؟ هل مازال لها محل من الإعراب فى لغة العصر؟

٣- هل تقع «المواطنة» موقع الإعراب الصحيح من حياة المواطنين عموماً ومن مناهج مديرى الوطن خصوصاً؟

لقد كان وليم سليمان وطنياً خالصاً، مخلصاً (بضم الميم فى الفصحى وكسرها فى

(*) جريدة الأهرام ٢٢ سبتمبر ١٩٩٩.

العامية) وحين كان يبحر فى «عميق» التاريخ الوطنى لم يكن قرصاناً يستلب غنائم الفخار الوطنى على طريقة «بلدنا أم الدنيا . . ونحن أجدع ناس» (اسمها بالبلدى الفهلوة المصرية)، بل كان صياداً يرمى شباكه فى إتجاه نفائس الأعماق وما وقع عليه صيده قام بعرضه على قرائه ومواطنيه فى مكتبته الزاخرة بمؤلفات يدور جلها حول تراكيب الحروف الثلاثة لكلمة «وطن» وكان قصده الموجز هو أن ما فى ماضينا من صفحات بيضاء ونبذل جهداً لنبقيها مفتوحة قبل أن تطويها الأحداث (كان يقول لنا أحياناً "إن المخزون الوطنى يتآكل" فشدوا حيلكم يا شباب). بإختصار كان التاريخ الوطنى بالنسبة له «هداية» وعبرة للغافلين أو الراغبين فى الإستفاقة، كأنه كان يقول لنا "فرقوا يا عالم" وهو يطل علينا بأعمال متميزة مثل: «المسيحية والإسلام فى مصر» و«مدرسة حب الوطن» و«مبدأ المواطنة» (لاحظ مفارقة أن كلمة «مبدأ» كانت هى «منتهى» أعماله، حيث طبع هذا الكتاب الأخير قبل أسابيع من وفاته).

ومثلما كانت مصر «الموضع» و«الموقع» تمثل «دوراً» عبقرياً بالنسبة لجمال حمدان كانت مصر «الوطن» و«المواطنة» تمثل «دوراً» محورياً بالنسبة لوليم سليمان ومثلما كانت المجاملة فضيلة من فضائل الدكتور وليم (تمارس أحياناً فى غير موضعها السياسى، حيث يستلزم الأمر أحياناً الصراحة المريرة لا المجاملة الرقيقة) إلا أن فضيلته الكبرى كانت فى إدراك أن الأدوار «تلعب» ولا «تورث»، فالمصريون أسوأ «مغسلين وضامنين جنة»، وإنما دورهم وتقدمهم مرهون بقدرتهم على ترتيب بيتهم من الداخل فيما بينهم على أساس أن الإعمال الفعال لمبدأ المواطنة يبنى دعائم الوطن القوى بالمجهود وليس على الجاهز وأول المجهود إقرار المبادئ. من هنا كان كلامه عن «الحركة الدستورية»، وعن مبدأ «الذمة» الذى يعنى عنده أن المسلمين فى ذمة الأقباط بقدر ما أن الأقباط فى ذمة المسلمين (ذكرنى الدكتور وليم ذات مرة بتلك العبارة المعلمة المفحمة التى نطق بها أحد أعلام الإسلام فى وجه حاكم توهم إمكانية طرد الأقباط من وطنهم، حيث قال: "إنما أقباط مصر هم أصحاب البلد وهم فى ذمة الإسلام فهل خربت ذمة الإسلام؟" إن للوطن الواحد ذمة واحدة أو لا ذمة له.

لقد رسم جمال حمدان وإخوانه من السابقين واللاحقين «معالم» الوطن الدقيقة على خارطة الكوكب، وأوضح وليم سليمان وزملاؤه من السابقين والمعاصرين «المبادئ»

والأسس الأولية لإجتماع شمل الناس فى قطعة من أرض الله اسمها الوطن، ويبقى على اللاحقين من المفكرين الوطنيين للأجيال المقبلة إرساء تفاصيل «إدارة» الحياة الوطنية فى ظل الديمقراطية العصرية التى تحفظ للوطن مصالحه فى العالم لكنها بنفس المقدار تحفظ للمواطنين حقوقهم وكرامتهم ومشاركتهم أى «مواطنتهم» داخل هذا الوطن وبدون ذلك لن تكون هناك «وطنية» من النوع الرفيع الذى رفع رايته وليم سليمان وصحبه رحمه الله وإيانا ونفعنا بعلم الوطن الذى علمنا.

وليم سليمان قلادة:

الرجل الذى حطم أغلال المساجين(*)

رشدى أبو الحسن

كان الحديث على هذه الصفحة يدور فى الأسبوع قبل الماضى حول الدكتور وليم سليمان قلادة، وعن أثاره الطيبة فى أكثر من مجال، وفى مقدمتها إسهامه الكبير فى بناء قيمة المواطنة.

ولم يكن أحد يدرى أننا سنودعه الوداع الأخير فى نفس الأسبوع، حيث لبى نداء ربه صباح الخميس الماضى. وكنا ننوى أن نستكمل الحديث عنه هذا الأسبوع برواية صفحة أخرى ناصعة ومجيدة من كتاب حياته الرائع.

وها هى الصفحة تنشر بعد وفاته. وتتحول من تحية إلى دمعة حزن على مصرى نبيل أحب أهله ووطنه والحياة.

فيا أيتها النفس المطمئنة أرجعى إلى ربك راضية مرضية.

أتردد طويلاً أمام التخلص من المسودات والأوراق، رغم أننى لا أذكر أننى أعود إليها أو أحقق أية فائدة من وجودها.

أمامى كوم من المسودات لموضوعات وتحقيقات نشرتها خلال الشهور الماضية، وهممت بالخلاص منها، ثم رأيت أن أقرأ بعضها.

ووجدت أننى أختصرت الكثير من الوقائع والبيانات والملاحظات عند إعادة الكتابة، لتفادى التكرار، والتركيز على الأساس، ومراعاة المساحة المناسبة.

(*) مجلة صباح الخير ٢٣ سبتمبر ١٩٩٩.

ولكن بدت لى الأجزاء المحذوفة بعد مرور هذا الوقت، مفيدة وهامة وتشير إلى معنى يستحق الألتفات.

مثلاً تحدثت منذ وقت قريب عن الدكتور وليم سليمان قلادة نائب رئيس مجلس الدولة والشخصية العامة، صاحب الدور المرموق فى العمل على فتح أبواب الكنيسة المصرية، ليكون لها دور أكبر فى الحياة العامة، وذلك متابعة لتقاليدها الراسخة منذ البدايات.

ولم أجد مبرراً للإشارة لدور الدكتور وليم فى واقعة بعيدة عن هذا السياق، رغم أهميتها فى ذاتها. وهى دوره فى إلغاء عقوبة تكبيل المساجين بالقيود الحديدية.

وقد كان النظام السائد فى السجون المصرية قبل سنة ١٩٥٥، يقضى بأن توضع الأغلال فى يدى وقدمى المحكوم عليه بالأشغال الشاقة المؤبدة، طوال فترة السجن، وهى قسوة قد نرى اليوم أنه ليس لها مبرر.

وربما يذكر أبناء الجيل الذى أنتمى إليه، أن الصحف طلعت علينا فجأة، ذات يوم من أيام فبراير ١٩٥٥، بعنوان كبير: "لا أغلال بعد اليوم" وصورة كبيرة مكتوب تحتها: "اللواء عبد الحكيم عامر القائد العام للقوات المسلحة فى ليمان طره، وهو ينفذ إرادة ثورتنا القومية الرحيمة ويحطم قيد أحدث نزيل فى الليمان وإلى يمينه اللواء محرم عثمان مدير عام السجون وأعوانه من كبار الضباط الذين اقترحوا إلغاء هذه القيود".

والحقيقة أنه لا أحد من هؤلاء الضباط له دور كبير وربما دور على الإطلاق فى هذا الاقتراح.

والوحيد الذى له الفضل هو وليم سليمان الشاب الذى كان يعمل فى ذلك الوقت مديراً للتشريع بوزارة الحربية والبحرية. والذى يتذكر ما حدث على النحو التالى:

ورد إلينا من مصلحة السجون التى كانت تابعة لوزارتنا آنذاك، مشروع قانون لتعديل لائحة السجون الصادرة بمرسوم بقانون رقم ٨٠ لسنة ٤٩.

وبدأت أدرس الموضوع وأعددت مشروع قانون جديد راعيت فى وضعه إعتبارات قانونية وإنسانية متنوعة.

ومن بين التعديلات التى إقترحتها وقتئذ إلغاء القيود الحديدية التى كانت تكبل بها أقدام المحكوم عليهم بالأشغال الشاقة ، وكتبت مذكرة تشرح أسانيد هذا الإلغاء ، ومن بين ما أشرت إليه فى المذكرة : " السجن هو فرصة الدولة التى يجب أن تنتهزها لتعلم هذا المواطن كيف ينبغى أن تكون الحياة السليمة السوية ، ولذلك يجب أن يعد السجن من أجل تحقيق هذه الغاية ، وأول ما ينبغى مراعاته فى معاملة هذا الإنسان ، هو عدم المبالغة فى إيلامه وتعذيبه " .

وأرسل مشروع تعديل لائحة السجون إلى الوزارة لبحثه .

ولكن بعد وقت قليل أرسل وكيل الوزارة الدائم يطلب إعداد الجزء الخاص بإلغاء القيود الحديدية ، لأنه تقرر إصداره على الفور ، حيث أن بقية اللائحة ستأخذ بعض الوقت .

من ذلك الألمعى الذى إلتقط الفكرة التى ألمح إليها وشرح أهميتها وآثارها وليم سليمان . . لا أحد يعرف ذلك ، ولكن من المؤكد أنه ليس من الذين نشرت الصحف صورهم . . بل إننا ما كنا لنعرف الدور الأصيل لوليم سليمان فى هذا العمل الإنسانى ، لولا جمعه لبعض الدراسات والمقالات فى قضية «المواطنة» ونشرها منذ شهور فى كتاب . . وما أكثر النبلاء الذين يفيدون ويبنون ويبذرون بذور الخير والتقدم ، دون أن يبالوا أن يشير أحد إليهم أو تدق لهم الطبول .

وبعد أن كتبت هذه السطور بلحظات ، نعى إلى الناعى الدكتور وليم سليمان . رحمه الله رحمة واسعة وعوضنا فيه خيراً .

وليم سليمان قلادة:

خواطر شخصية

جورج اسحق

عندما يمر بخاطر الإنسان وكثيراً ما يحدث تذكر (الدكتور وليم سليمان) أشعر بمدى فداحة الخسارة الكبيرة وفراغ الساحة من فكر متقد وحماس لا يوجد عند الشباب ودأب فى العمل يعتبر نموذجاً يحتذى فى زمن صعب أن تتحقق فيه كل هذه الصفات فى شخص ما، فهذا المثقف ظهر فى لحظة الأزمة التاريخية.

بدأت علاقتى (بالدكتور وليم) منذ خمسة عشر عاماً ولم تنقطع وأود أن أعترف أن من علمنى الكثير عن الكنيسة المصرية الوطنية وأدوارها الفاعلة من حيث مواقفها الوطنية وذكر الوطن فى كل الصلوات وأثره فى تأكيد فكرة الإنتماء الوطنى.

وعندما نبدأ فى استعراض حياته الفكرية الثرية بدأ إنبهارى به منذ أن بدأ يكتب فى (الطليعة) حيث كان المثقفين المصريين فى هذا الزمن الجميل يقرأونها بشغف وكانت (الطليعة) مدرسة لأصحاب الفكر الاشتراكى.

وفى هذه الفترة ظهر كتابه الرائع «الشعب الواحد والوطن الواحد» وظهرت لأول مرة الأرضية التى بدا عليها إجتهاداته وهى ثورة (١٩١٩) التى إعتبرها ذروة الحركة الدستورية واستبقى منها رؤيته لمفاهيم المواطنة المصرية حيث ظهرت عنده فكرة إجتياز حاجز السلطة بين الحاكم والمحكومين وإقتناص المحكومين لحقوقهم السياسية والدستورية معاً أقباطاً ومسلمين تأكيداً لفكرة المواطنة الكاملة والمساواة فى الحقوق والواجبات.

وبدأ فى رحلة بناها عبر عدة كتابات كانت بدايتها (الكنيسة المصرية تواجه الاستعمار - الحوار بين الأديان - الإسلام والمسيحية على أرض مصر) عبر من خلالها بشكل واضح

عن التفاعل الحضارى على أرض مصر فى إطار نسيج وطنى حضارى واحد وكانت هذه المرحلة هى ذروة قبوله للإسلام كحضارة.

وكانت علاقته بالتيار الإسلامى فى أقوى صورها فى كتاب «الشعب الواحد والوطن الواحد» ولكن ضغوط فترة التسعينات وما بعدها أثرت على هذه الفكرة وخاصة صياغته للفكرة العبقرية بصياغته المصرية لتلاقى المطلقين على أرضية واحدة واشتعلت فكرة المواطنة بشكل واضح عندما ظهرت فكرة مؤتمر الأقليات حين كان هو وسمير مرقص أول من تصدى لهذا المؤتمر بالمقابلة الشهيرة مع (الأستاذ هيكل) ومقالته المشهورة فى الأهرام عن (الأقباط ليسوا أقلية).

وبدأت كل القوى الوطنية تتصدى لهذا المؤتمر واستطاعت بتفاعل منقطع النظير وتكاتف نجح فى منع إقامة هذا المؤتمر ونقله إلى قبرص الأمر الذى أحدث حواراً ثرياً بين كل القوى الوطنية حول مفهوم الأقلية وعلاقة ذلك بموضوع المواطنة ومازال الجدل سارياً حتى اليوم وهذا يؤكد أن (الدكتور وليم سليمان) عندما كان يشعر بالخطر يقوم بالتحرك وليس بالكتابة والتنظير فقط، وهذا جانب مهم فى حياته.

وفى أيامه الأخيرة ظهر فى كتاباته تأصيل لمفهوم المواطنة المصرية استلهاماً من تجربة سياسية ودستورية على أرضية خبرة مصرية خالصة، وقدرته على المصالحة بين الوعى الدينى القبطى والوعى الدينى الإسلامى فى إطار حضارى مصرى يستمد قيم التسامح والموائمة المصرية وإظهار الوعى المصرى بالمواطنة بعيداً عن المفهوم الغربى ونجح وليم سليمان أيضاً فى أن يزيح فكرة المواطنة كقضية علمانية بينما هو طرحها فى مفهوم المصالحة بين الوعى الدينى الإسلامى والوعى الدينى القبطى وهو ما سماه فى كتاباته الرائعة بفقه المواطنة.

وليم سليمان قلادة مازال بيننا(*)

هانى لبيب

تمر اليوم ذكرى الأربعين للمستشار د. وليم سليمان قلادة المفكر الوطنى والعالم القانونى عن عمر يناهز الخامسة والسبعين عاماً.

يمثل د. وليم سليمان قلادة نموذجاً للباحث الرصين المدقق فى لغته والمنضبط فى ألفاظه مما جعله - حقاً - يمثل مدرسة الوطنية المصرية، فعمل بجد ودأب لكى يستخرج من تاريخنا الوطنى أهم ما يحتويه من وقائع تمثل رصداً للمبادئ والأسس الأولية التى تجمع شمل المسيحيين والمسلمين فى مصر فى قطعة من أرض الله اسمها الوطن، وليؤكد «المواطنة» التى تمثل دوراً محورياً عنده، وهو ما يثبت أسس التوحيد القومى المصرى وتجديد ثقافة الإندماج الوطنى.

ولتوضيح هذه الفكرة، يمكننا أن نرصد له بعض المفاهيم الأساسية التى تمثل المنظومة الفكرية، كالتالى:

- دعم مفهوم الاستقلال الوطنى، ورفض التبعية سواء بالنسبة للوطن المصرى أو الكنيسة القبطية.
- إدراك أن قوة التماسك لدى الجماعة السياسية المصرية منبعها التمسك بالموقف الدينى لكل من المسلمين والمسيحيين لا تجاوزه.
- إن المصريين جميعاً لهم تراث مشترك «له طبيعة دينية» يستقر فى أعماق المسلمين والمسيحيين.
- الربط بين الكنيسة الوطنية والتطور التاريخى للوطنية المصرية.

(*) جريدة الشعب ٢٢ أكتوبر ١٩٩٩.

- إن الحوار بين الأديان لا يجوز أن يكون فى أمر العقائد الدينية، بل يكون حول التعايش المشترك.

- فهم الآخر، كما يرى الآخر نفسه.. لا كما يجب أن يراه الآخر.

لقد قدم الراحل الكبير نموذجاً فريداً ندر أن يكون له مثال فى الأجيال المتتالية، فأنجز عمله كرجل قانون وقضاء ومؤرخ ومفكر وطنى فى صمت جعله يمقت الأضواء والشهرة والإعلام، شأنه شأن الكبار: التواضع والنبل والزهد، وهو ما يجعل الدولة تكرمه، وهو ما حدث بالفعل حينما منحه الرئيس محمد حسنى مبارك وسام العلوم والفنون من الطبقة الأولى فى ١٩٩٦.

كما قدم نموذجاً للقاضى الجليل والراعى الأصيل لكل ما يقوى أواصر الوحدة الوطنية، فهو صاحب الفضل فى تعريف المجتمع المصرى والنخبة المثقفة بالكنيسة المصرية، ودورها فى التاريخ من خلال ما نشره من حقائق لم تكن معروفة من قبل، خاصة فى دراسته التى نشرت فى مجلة «الطليعة» فى الستينيات.

أضف إلى هذا إهتمامه الكبير بالحوار بين الأديان، مما جعله واحداً من أهم أقطاب الفريق العربى للحوار المسيحى الإسلامى، والذى يضم فى عضويته عن مصر كلاً من: المستشار طارق البشرى ود. محمد سليم العوا وسمير مرقس.

وفى هذا السياق أذكر أننى تعرفت - فى بداية التسعينيات - بصفة شخصية وفى وقت واحد على كل من: د. وليم سليمان قلادة والمفكر الوطنى والإسلامى الكبير د. محمد سليم العوا، وكان د. العوا قد عرفنى على د. قلادة بعد أن أثنى عليه ثناءً حسناً، ومن حسن المصادفة أننى تعرفت فى الوقت نفسه على المفكر والمؤرخ المستشار طارق البشرى. وأعترف أنهم قد إرتبطوا عندى منذ ذلك الوقت بمنظومة وطنية واحدة.. أضف إليهم فيما بعد سمير مرقس «من الجيل التالى لهم»، خاصة فى العديد من القضايا الوطنية المهمة، والتى صاروا فيها جبهة واحدة ظهرت بوضوح مؤخراً فى التصدى للحماية الأمريكية على أقباط مصر خاصة من القانون الأمريكى سيىء السمعة، ولعل كل من حضر الإحتفال الماسى لوليم سليمان قلادة الذى أقامه له المركز القبطى للدراسات الإجتماعية منذ فترة

قصيرة يشعر بذلك، وبهذه المنظومة الفكرية الوطنية التى يمثلونها معاً فى ترابط وتشابك . .
يمثل الصورة المثالية للشخصية المصرية البسيطة .

لقد حمل - حقاً - فى فكره قيم الوطنية وإحترام التعددية فى كل صورها وأشكالها .

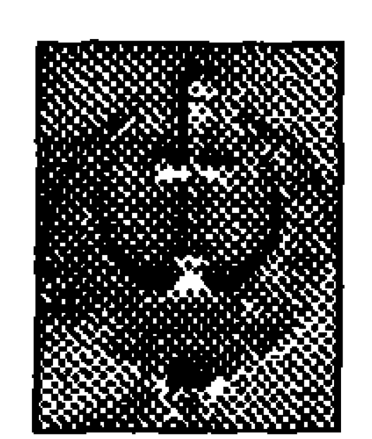
وما هو جدير بالذكر، أن المدخل إلى شخصيته يتمثل فى مصريته التى تحمل فى طياتها الأسس الأخلاقية والقيمية، كما أن معالم الطريق إلى «المواطنة» وتأكيدها هو عصب دراسات وليم سليمان قلادة . . التى تجلت فى كتابه الأخير «مبدأ المواطنة» كخلاصة لوجهة نظره عن تاريخ العلاقات بين مكونات الجماعة الوطنية ومستقبلها، ومدى تلاحمها وترابطها .

وبعد، لقد رحل الباحث الرصين والفقيه القانونى والمفكر الوطنى المستشار وليم سليمان قلادة رجل الحوار وصاحب تأصيل الثوابت الوطنية . . رحل دون أن يكمل حلماً لازمة طيلة الفترة الأخيرة، وهو عمله الموسوعى «المواطنة» .

ثالثاً : الدكتور وليم سليمان قلادة

فى عيون الأدباء

- نقطة عبور : حكيم من مصر　　أ. جمال الغيطانى.
- عاشق التاريخ　　أ. محفوظ عبد الرحمن.



نقطة عبــور :

حكيم من مصر(*)

جمال الغيطانى

فى ديسمبر عام ستة وستين نشرت دراسة فى مجلة الطليعة للدكتور وليم سليمان قلادة، قرأتها فيما بعد، ربما فى مايو أو يونيو سنة سبعة وستين. كنت فى توقيت نشرها مغيباً رغماً عنى.

كانت الدراسة عن تركيب الجماعة المصرية ومكونات وحدتها، وجدت فيها عوناً ودليلاً على النفاذ إلى روح مصر المكنونة، وإمتداد لدراسات قليلة تناولت هذا الموضوع، منها «أقباط ومسلمون» منذ الفتح العربى إلى «عام اثنين وعشرين» لجاك تاجر والصادر عام واحد وخمسين، و«سندباد مصرى» للدكتور حسين فوزى.

تأثرت جداً بدراسة الدكتور وليم، وفيما بعد تناول طارق البشرى العلاقة بين المسلمين والأقباط فى إطار الجماعة الوطنية، من خلال دراسته الرائعة، الرائدة التى كان عنوانها فى الأصل «مصر بين أحمد والمسيح». تابعت نشرها فصلاً، فصلاً، فى مجلة الكاتب المصرية عام سبعين.

يقول الدكتور وليم فى مقدمة كتابه «القيم المسيحية والإسلام على أرض مصر» ما نصه:

"وأحسب أننى بدأت أفهم أن الدين - المسيحية والإسلام - رسخا فى ضمير المصرى وفى نظرته إلى الكون مفهوماً للإنسان هو جزء بالغ الأهمية والقيمة فى تراث كل فريق وفكره، وقد أفرز هذا المفهوم أثاره فى الحياة على هذه الأرض، سواء وعى المؤمنون ذلك أم عاشوه كما لو أنه أحد القوانين الحيوية التى لا يملكون التحكم فيها".

(*) جريدة أخبار الأدب ١٩ سبتمبر ١٩٩٩.

غير أن هذه القوانين الحيوية التى يشير إليها الدكتور وليم فى حاجة إلى رجال أنقياء مخلصين يدركون مضامينها ويفسرونها للناس، وفيما يتعلق بروح مصر العميقة، فإن الدكتور وليم كان واحداً من أولئك الذين أدركوا سرها وعناصر حيويتها وإستمرارها، كان مؤرخاً له ضمير القاضى، وهو قاض بالفعل، وصل إلى منصب نائب رئيس مجلس الدولة. إلى نفس الموقع وصل طارق البشرى، لنتأمل الإهداء الذى كتبه الدكتور وليم إلى زميله فى القضاء والفهم.

"إلى المستشار طارق البشرى قاضياً عادلاً، وزميلاً كريماً، ومؤرخاً نير النظرة أميناً، وأخاً عزيزاً، وسع قلبه المصريين جميعاً - فأقام للمسلمين والأقباط بناء رحباً شامخاً، سكنت فيه الجماعة الوطنية كلها فى أمن وتفاهم ومحبة ووحدة حقيقية تحية خالصة وتقديراً عميقاً".

نفس هذه الأوصاف تنطبق على الدكتور وليم الآن... لا أذكر متى تعرفت به على وجه التحديد، لكننى أشعر أننى أعرفه من قديم، ماثل أمامى، الشخصية التى تتداعى إلى ذهنى عند تذكره: حكيم مصرى، متشح مرة برداء كاهن مصرى فى معبد أبيدوس، أو راهب قبطى فى قلاية داخل دير على تخوم الصحراء، أو شيخ مهيب يؤم المصلين، استرجع حضوره الطيب، نسبة إلى الصفة المصرية العذبة «فلان طيب». وهى كلمة تشمل صفات عديدة، إيجابية إنسانية.

كان يتحدث على مهل، يضغط على مخارج الألفاظ تماماً كالشيوخ المعمرين فى الريف المصرى الذين يحلون المشاكل، نبهنى إلى قدم شعار الهلال والصليب، الفكرة العامة أنه موجود منذ ثورة تسعة عشر، لكن الحقيقة أنه أقدم بكثير، إكتشف الدكتور وليم فى متحف الفن الإسلامى، هلالاً يعانق صليباً يرجع إلى زمن الحروب الصليبية، ويعرض الآن فى المتحف المصغر بمطار القاهرة.

للدكتور وليم ثلاثة مفاهيم محددة تتلخص فى الآتى:

أولاً: للمصريين جميعاً تراثاً مشتركاً له طبيعة دينية يستقر فى أعماق المسلمين والمسيحيين، يهدد توجهاتهم، وغالباً ما نغفل عنه.

ثانياً : للتاريخ فى مصر صفة الاستمرارية ، قد تمر فترة زمنية شاسعة يخيل فيها للسائر فى التاريخ أن الشعب ما بدأ به وغير المسار ، وفجأة يستأنف المصريون رحلتهم وكأن البداية كانت بالأمس .

ثالثاً : لكم يغمط المصريون حق أنفسهم ، وقت الأزمة الشخصية والإجتماعية الحادة . والتأمل الصادق المنصف للتاريخ المَصرى لابد يخلص إلى أننا خير مما نظن فى أنفسنا .

كان الدكتور وليم، أو «العم وليم» كما كنت أناديه واحداً من حكماء الأمة وعقلائها ، وكان أخاً كبيراً أتنفس به ، وأهتدى برأيه وقت الشدائد وأطلب منه النصيحة عند الحيرة ، ولسوف يحزننى رحيله إلى الغاية .

وليم سليمان قلادة:

عاشق التاريخ(*)

محفوظ عبد الرحمن

منذ نحو ستة أعوام وربما أكثر قرأت مقالة لفتت نظرى بشدة رغم أن اسم كاتبها كان مجهولاً لى. وكان فى هذه المقالة ما أثار فضولى لمعرفة الأعمال التى كتبها صاحب المقالة.. وسألت عنه أصدقائى، فلم يدلنى عليه أحد.

وهكذا ظل وليم سليمان قلادة اسماً بلا عنوان.

وذات يوم حضرت تصوير يوم من «بوابة الحلوانى» وأخذنا نتحدث فى ركن حتى جرنا الحديث إلى إختفاء كتاب من على الخريطة تماماً وأسباب ذلك، أو إنطواء بعض الكتاب حتى لا نكاد نعرف عنهم شيئاً. ذكرت اسم وليم سليمان قلادة، فإذا بالصديق چورچ سيدهم يتنبه ويقول أنه يعرف وليم سليمان قلادة، شفا الله چورچ سيدهم فلقد تعرض لعدة أزمات قلبية، وأجرى جراحة كبيرة، ثم تعرض لصدمة نفسية دمرت بعض أجزاء من المخ، ومسحت منه كثيراً من الذكريات، وأسدل الستار على الفنان الذى شغل الحركة المسرحية والفنية ثلاثين عاماً، فلا يكاد يعرف أخباره أحد. ذلك لأن الأصدقاء والزملاء إما تعبوا من كثرة السؤال دون أن يصلوا إلى تقدم، وإما لأن «الطرف» الآخر فى العلاقة لا يميزهم إذا زاروه، وبالطبع هناك من لا يستطيعون قبول فكرة رؤية چورچ المرح المهذار، وهو فى حالته هذه.

المهم أن چورچ قال لى إنه يعرف الرجل، وهكذا إتفقنا على أن يأخذ لى موعداً منه.

ولولا الإهداء الذى كتبه الدكتور وليم سليمان قلادة ما تذكرت متى قابلته. فلقد

(*) جريدة العربى ١٩ سبتمبر ١٩٩٩.

أهدانى كتابه «المسيحية والإسلام فى مصر» وأرخه نوفمبر ١٩٩٤ . وأذكر تلك الليلة الباردة التى قابلت فيها چورچ سيدهم فى أحد ميادين مصر الجديدة لنذهب معاً إلى الدكتور وليم الذى كان ينتظرنا .

وعرفت أنه رجل قانون وصل إلى منصب وكيل مجلس الدولة ، لكنه أحب التاريخ وإجتهد فيه وإعتقد أن له ما يبقى دائماً فى ذلك .

والأكاديميون يقلقون كثيراً من «هواة» التاريخ ، إلى حد أنهم يتحفظون على عبد الرحمن الجبرتى وعبد الرحمن الرافعى ، ورغم أننى فى البداية من هذه المدرسة ، إلا أننى أيضاً أؤمن بأن الهاوى قد يتجاوز المحترف ، فالجبرتى هو أعظم من فى عصره ، ولا أدرى كيف ندرس الحملة الفرنسية ومحمد على دون أن نعتبره مرجعنا الرئيسى ، والرافعى مصدر أساسى فى ثورة ١٩١٩ وتاريخ مصطفى كامل ومحمد فريد ، وكتبه عن الحركة القومية أهم ما كتب فى هذا الموضوع .

وأعتقد أن أهم كتب التاريخ فى النصف الثانى من القرن العشرين كتاب صغير لـ «أحمد بهاء الدين» عنوانه «أيام لها تاريخ» جمع فيه مقالات عن شخصيات وأحداث تاريخية من تاريخنا المعاصر ، وغير بها نظرة أجيال إلى التاريخ . وأحمد بهاء الدين «هاو» آخر ، ومن الغريب أنه مثل الرافعى ووليم قلادة من خريجى الحقوق!

وكان شاغل الدكتور وليم قلادة هو قضية الوحدة الوطنية ، خاصة أننا عندما إلتقينا كانت أحداث الإرهاب فى قمتها ، وكانت قضية الوحدة الوطنية قد أصبحت موضوعاً للحديث ، والعقلاء يلاحظون ما تضيق له صدورهم هنا وهناك . وتوقعت أن يكون تركيز الدكتور وليم على ثورة ١٩١٩ ولكنه كان يرى أن الوحدة الوطنية أقدم من ذلك بكثير ، وأرانى رسوماً من أيام «الحروب الصليبية» عليها الهلال والصليب كانت رمزاً للجيوش المصرية ، هى الرسوم التى نشرها كثيراً ، ولقد وضعت كلمة «الحروب الصليبية» بين قوسين لأننى بمجرد أن جلست بين يدى الدكتور وليم حتى أثنى على أننى فى مسلسل بعنوان «الكتابة على لحم يحترق» لم أذكر الحروب الصليبية بل ذكرت حرب الفرنجة ، هذا وصفها الحقيقى ، ولم يكن هذا التحديد - والحق يقال - واضحاً فى ذهنى ، ولكننى إستخدمت كلمة «الفرنجة» أكثر مما إستخدمت كلمة «الصليبيين» بإحساس أكثر ، وكان

تصحيح المصحح أحد هموم الدكتور وليم. وأهم ما طرحه الدكتور وليم قلادة من أفكار في كتبه هى فكرة توثيق الوحدة الوطنية .

وهو يرى أن هذا بدأ منذ عصر محمد على ، فمهما كانت طريقة حكمه إلا أن الفترة وظروفا سبقت حكمه وتلته كانت بداية محاولة فقراء المصريين الوصول إلى حقوقهم ، وهى المرحلة التى بدأت منذ تلك الفترة وحتى الآن .

والكفاح المشترك هو الذى وحد عنصرى الأمة . ففى هذا النضال المستمر لا يفكر الإنسان فى أوجه الإختلاف سواء كانت دينية ، أو إجتماعية ، أو إقليمية ، أو فكرية . كل إختلاف هنا خاص بصاحبه .

حقاً إن العدو المشترك ، أياً كان هذا العدو ، يدرك خطورة الإنصهار بين قوى الشعب ، فيحاول أن يلعب لعبة التفرقة حسب النظرية الميكانيكية : فرق تسد ! .

لكن الإدراك القومى لخطورة اللعبة يجعل الناس يتجاوزون شرورها .

وحتى مفكر كبير آخر !

رابعاً : الكنيسة المصرية
والدكتور وليم سليمان قلادة

- الدكتور وليم سليمان قلادة.   مجلة الكرازة.

- مدرسة كنسية..
  مدرسة قانونية.. مدرسة وطنية.   نيافة الأنبا موسى.

- إعلاء قيمة الشخصية الإنسانية. د. موريس أسعد.

- ورحل مفكر الجماعة الوطنية.   د. مينا بديع عبد الملك.



الدكتور وليم سليمان قلادة

تأثرنا جداً لإنتقال الدكتور وليم سليمان قلادة الوكيل الأسبق لمجلس الدولة ورئيس تحرير مجلة مدارس الأحد الذى سلمه قداسة البابا رئاسة المجلة بعد رهبنته وهو من الخدام القدامى فى كنيسة مارجرجس بجزيرة بدران.

وقد إنتقل بسرعة إثر مرض خطير نبح الله نفسه.

وقد إنتدب قداسة البابا نيافة الأنبا يوأنس لكى يحضر الجنازة، وألقى كلمة العزاء نيافة الأنبا موسى. كما حضر نيافة الأنبا متاؤس.

وحضر صلاة الجناز أيضاً المستشار طارق البشرى، والدكتور محمد سليم العوا.

خالص عزائنا للأسرة الكريمة ولكل من إنتفع بعلم الدكتور وليم سليمان ومن تتلمذ على مقالاته.

الكرازة ١٧/ ٩/ ١٩٩٩

وليم سليمان قلادة:

مدرسة كنسية .. مدرسة قانونية .. مدرسة وطنية(*)

نيافة الأنبا موسى
أسقف الشباب بالكنيسة القبطية

بسم الآب والابن والروح القدس
الإله الواحد آمين

فى كلمات قليلة، أود أن أعرب عن مشاعرنا جميعاً نحو هذا الراحل الحبيب، الذى عاشرناه عن قرب مسلمين وأقباط، ولسنوات طويلة، فوجدنا فيه ليس مجرد شخصاً عادياً أو شخصية مرموقة، وأعتقد أن الكثيرين يشاركوننى هذا الرأى، فلقد عاشرنا مدرسة. فقد كان الراحل الحبيب: «مدرسة كنسية"، "مدرسة قانونية"، و"مدرسة وطنية".

* **كان مدرسة كنسية**؛ فكم جلسنا إليه الساعات الطوال ننهل من منجم لا يمكن أن ينضب أبداً؛ من القراءات الكنسية، ومن تفسيرات الكتاب المقدس، ومن علوم الكنيسة المختلفة، والقانون الكنسى. وليس فقط من حيث الفكر الكنسى ولكن من حيث الحياة الإيمانية التقية. كان الدكتور وليم إنساناً غاية فى البساطة وغاية فى العمق، غاية فى العلم وغاية فى الإتضاع، كنت تجلس إليه وكأنك تجلس إلى قلب طفل ولكن إلى ذهن فيلسوف. كيف جمع بين هذا وذاك لا أعرف!؟، ولكننى أعرف أن الله يستطيع أن يصنع المعجزات. كان الدكتور وليم مدرسة كنسية كتب الكثير من المقالات الدينية وعاش حياة

(*) كلمة العزاء التى ألقيت فى يوم الصلاة على جثمانه الطاهر، الجمعة ١٩٩٩/٩/١٠.

مسيحية مقدسة وخدم الكنيسة شماساً، ورئيساً لتحرير مجلة مدارس الأحد وأصدر دراسات متبحرة يندر أن يصدرها آخر، مثل: الدسقولية، ودراسات فلسفة القراءات الكنسية بالكنيسة القبطية الأرثوذكسية. . كان الدكتور وليم رب أسرة مملوء حباً يحب أولاده وأسرته رباهم جميعاً فى مخافة الرب ورباهم جميعاً فى حب الغير وفى خدمة الآخرين فصاروا فى الحقيقة نماذج حلوة مرموقة فى الكنيسة وفى المجتمع. لذلك حين ننظر إليه من هذا البعد نرى إنساناً ودوداً، إنساناً باشاً، إنساناً محباً، لا يعرف البغضاء أبداً، موضوعى حتى النخاع، متواضع حتى الأعماق، لذلك فلم يكن يكثر عليه أن يجتمع فى وداعه أكبر قيادات الفكر والثقافة فى مصر مسلمين وأقباطاً. لذلك أيضاً نستطيع أن نودعه الآن إلى فردوس النعيم حيث نثق ونتيقن ونؤمن أن هذه مرحلة مؤقتة فيها النفس تصفو مع الرب وتخلد إلى الراحة وتحيا أمجاد الحياة الآخرة حتى ما يأتى يوم القيامة العامة فتأتى النفس من الفردوس إلى الجسد المسجى فى القبر فيقوم الإنسان كلاً متكاملاً، جسداً روحانياً سماوياً نورانياً. وهكذا يصعد ليلتقى بإلهنا العظيم ويحيا فى كنفه إلى أبد الآبدين ولعل الدكتور وليم حين صعدت روحه إلى بارئها إستمع إلى الصوت القائل نعماً أيها العبد الصالح والإبن كنت أميناً فى القليل أقيمك على الكثير أدخل إلى فرح سيدك. هو كان دائماً فى فرح إبتسامته لا تفارق شفتيه والفرح لا يفارق قلبه مهما كانت الآلام، كان دائماً باشاً ودائماً محباً وودوداً أما الآن فهذا الفرح ينبغى أن يضرب فى ما لا نهاية لأن أفراح السمائيين أفراح لا نهائية أفراح خالدة هذا هو البعد الكنسى.

* أما البعد الثانى فهو **البعد القانونى**؛ كان موسوعة قانونية يعرف هذا رجال القضاء ورجال الفقه والقانون فى مصر، لهذا لم يكن غريباً أن يكتب عنه الأهرام اليوم الفقيه الكبير بالفعل كان متفقهاً فى كل علوم القانون وكان نموذجاً للقضاء النظيف العادل الشريف الذى دائماً إتسمت به مصرنا الحبيبة فوق كل العالمين لذلك كتب الكثير فى القانون والكثير فى القانون الكنسى بالذات، مما أثرى المكتبة المصرية بعامة والمكتبة القبطية بخاصة بكتاباته ودراساته العملاقة ولعل الذين عاشروه فى حياته القضائية مثل المستشار طارق البشرى المحبوب لدينا جميعاً، ولديه، لعل هؤلاء جميعاً يشهدون معى بأنه كان نموذجاً حلواً لرجال القانون.

أذكر حين كنا نكرم الدكتور وليم منذ أسابيع قليلة جاء كثير من الأحباء المسلمين والأقباط شاركونا فى تكريمه وتحدثوا عنه بحب وود. وتحدث المستشار طارق، وأخيراً قال الدكتور وليم بكلمات بسيطة من عمق أعماق قلبه إنى مدين بكل شئ لشعبنا المحب مسلمين ومسيحيين، وحكى لنا الكثير من ملامح الحب الكامن فى قلبه والكامن فى قلوب إخوته الذين عاشرهم فى سلك القضاء وكيف عاونوه فى رسالة الدكتوراه وعاونوه في عمله وفى أبحاثه وكيف عاشوا معه فى عشرة وتفاعل.

* أما البعد الثالث فهو **البعد الوطني**؛ وفيه كما يقولون حدِّث ولا حرج فالدكتور وليم سليمان إختط منهجاً واضحاً فى دعم الوحدة الوطنية ليس بكلمات جوفاء ولكن كباحث علمى مقتدر إستطاع أن يخرج من بطون الكتب القديمة والجديدة ومن بطن هذه الأرض الطيبة أسس العلاقات الحميمة التى تربطنا جميعاً كشعب واحد (مسلمون وأقباط) وأصدر الكثير من الكتب في هذا الميدان وهى كتب أظن أنها متفردة ومتميزة ولم أر لها مثيلاً. وقد أصدرنا له فى أسقفية الشباب كتاباً أسمه مدرسة حب الوطن إذا ما قرأتموه تعرفون كيف تعلمنا الكنيسة القبطية حب وطننا وحب كل من هم على أرض مصر الطيبة وكيف أن كل صلوات الكنيسة تدعونا إلى الحب للرئيس وللجند والرؤساء والوزراء والجموع ومداخلنا ومخارجنا وأيضاً لكل من هم فى الجيش وأيضاً لكل من هم حولنا نصلى من أجل كل المواطنين وكل أرض مصر الطيبة نصلى من أجل النيل والصحراء والزروع والعشب ونبات الحقل نصلى من أجل الكل حتى من أجل اليتيم والغريب والأرملة والضيف أراد أن يعلمنا من نهر حبه كيف أن الكنيسة تعلمنا أن نحيا فى تواصل ومصالحة مع كل من حولنا.

أيها الأحباء إن الدكتور وليم سليمان هو الذى بدأ أيضاً معنا فى أسقفية الشباب ندوات بدأها مع الأستاذ طارق ثم جاء إلينا الكثير من الأحباء من إخوتنا المسلمين الذين جاءوا لكى ما يتحدثوا مع أبنائهم شباب القبط. جاء إلينا المستشار طارق، الدكتور سليم العوا، أستاذ فهمى هويدى، الدكتور محمد عماره، وآخرون كثيرون.. وندعو الكثيرين أيضاً لهذه اللقاءات التى فتحت القلوب على بعضها البعض وأكدت للجميع أننا فى النهاية أسرة واحدة وجسد واحد هو جسد مصر الحبيبة التى عشقناها جميعاً وأحببناها.

أيها الأحباء لا أريد أن أطيل عليكم ولكننى أطلب منكم أن تذكروا هذا الراحل الحبيب

وأن نثرى جميعاً عقولنا بما كتب وأن نحفظ تراثه ونعيد طبعه ونشره من أجل الأجيال الصاعدة فنحن أمام عالم متغير وأمام ضغوط كثيرة من الإعلام ومن الفضاء ومن شبكات المعلومات الأمر الذى يدعونا أن نعمل جميعاً من أجل تأصيل شبابنا فى الله أولاً وفى حبه للغير ثانياً وفى حبه لهذا الوطن .

أيها الأحباء أكرر تعزيات قداسة البابا الحبيب الذى كان مع الدكتور وليم من الرعيل الأول فى خدمة هذه الكنيسة وفى خدمة هذا الوطن وأكرر أيضاً تعزيات أصحاب النيافة وكل الآباء وكل الأحباء مسلمين وأقباطاً وأثق فى النهاية أنكم سترفعون الصلوات وتطلبون من الرب أن يسكب روح العزاء علينا جميعاً وعلى أسرته الحبيبة بكل فروعها فهى أسرة لصيقة جداً بقلب الكنيسة نحبهم ونشعر بهم وهم يكملون رسالة الراحل الحبيب .

نم هادئاً يا دكتور وليم سنفتقدك معلماً وأستاذاً قدوة ومثالاً ولكننا نعرف بإيماننا إنك حيّ بين ظهرانينا ، فأنت روح خالدة وليس مجرد جسد مائت حتى الجسد سيقوم وسنحيا جميعاً أبديتنا السعيدة مع الله بنعمة الله .

إعلاء قيمة الشخصية الإنسانية في فكر د. وليم سليمان قلادة(*)

د. موريس أسعد

آمن د. وليم بأن الشخصية الإنسانية هى محور الحياة، وقد سعى فى جل ما قدمه من بحوث ودراسات وكتابات إلى إعلاء قيمة الشخصية الإنسانية، وإبراز مكان الإنسان فى بيته، ومع جاره، وفى كنيسته، وفى مجتمعه، بل وفى علاقة الإنسان بالطبيعة وبالكون.

ففى رسالته للدكتوراه، كان موضوعها «التعبير عن الإرادة فى القانون المدنى المصرى: دراسة مقارنة» (١٩٥٥)، إنطلق د. وليم فى هذه الرسالة إلى دراسة الشخصية الإنسانية من خلال التعبير عن الإرادة. وهو يرى أن "التعبير هو وسيلة التعرف على الإرادة الباطنة". وأن التعبير هو العنصر المادى فى التصرف القانونى. ويختتم د. وليم رسالته بقوله: "إن القانون عُمل من أجل الإنسان، وأنه وراء العلاقة القانونية الجامدة يوجد طرفان، وهما شخصان إنسانيان".

ويواصل د. وليم تحليله للشخصية الإنسانية فى كتابه: «الكنيسة المصرية تواجه الاستعمار والصهيونية»: "حافظت الكنيسة القبطية على إحترام الشخصية الإنسانية. فالوحدة الشعبية الجماهيرية كانت الأساس المكين الذى من خلاله حافظ الشعب المصرى على روح الألفة والتسامح المتبادل" فالعلاقة بين الإنسان وأخيه الإنسان هى محور الحياة. "فالمبدأ الأول الوحيد فى الحياة المسيحية هو الحب"، "أحبب قريبك كنفسك"، بل وأكثر من نفسك.

وتأسيساً على هذا المبدأ يؤكد د. وليم دور كل إنسان فى الحفاظ على قيمته كإنسان فى حياته وفى مجتمعه، بل إنه يرى أن "كفاح المسيحيين عبر التاريخ كان للحفاظ على قيمة

(*) جريدة وطنى ١٧ أكتوبر ١٩٩٩.

الإنسان" فلقد "حافظت الكنيسة القبطية على إحترام الشخصية الإنسانية . فهذا هو تراث المسيحية الأصيل" . فليس من عجب أن أهدى د. وليم كتابه هذا إلى أبيه الذى كان "إنساناً طيباً يعيش من عمل يديه . كانت هموم مصر هى همومه الشخصية ، وشارك وسط الجماهير الثائرة فى النضال الوطنى ، وقدم مع الملايين التضحيات اليومية التى صنعت لهذا الوطن اسمه فى التاريخ ... وأثناء هذا كله كان شماساً فى الكنيسة القبطية" .

ويتابع د. وليم مسيرته فى إعلاء الشخصية الإنسانية فى كتابه «الحوار بين الأديان» . وهنا يرى أن الحوار الحقيقى لا يقوم إلا من خلال الحياة المشتركة بين المواطنين. وفى هذا الإطار يقدم د. وليم نظرة شاملة إلى التاريخ على أنه محاولة لتحليل الحياة البشرية وتفسيرها عبر العصور بصورة كلية ، تتعدى النظرة اللحظية لوقفات معينة تسجل مجرد أحداث متتابعة . فعلى مدى التاريخ كانت الكنيسة المصرية مؤسسة شعبية تعلى من قدر الشخصية الإنسانية ، وقد عبرت فى قوانينها على تقديرها للإنسان . إذ أن الكنيسة القبطية تعتبر أن الإنسان هو الهدف ، وهو القيمة العظمى .

وهكذا يرى د . وليم أن الحوار بين الأديان لا يستقيم بغير الإيمان بقيمة الإنسان والثقة فى قدرة العقل على فهم الواقع والسيطرة عليه ، والتفاهم المتبادل ، وتبادل الخبرة بين البشر ، فى إطار التعددية والوحدة والحياة الإنسانية المشتركة . ويرتبط الحوار كذلك بالإيمان بالمطلق . "فالإيمان الأصيل بالمطلق يخرج الإنسان من عزلته ويدعوه إلى علاقة أكثر قرباً وإتصالاً بباقى البشر . وفى الإنسان يتصل المطلق بالنسبى . وعلى هذا "يدعو الدين كل مؤمن به إلى تجاوز الواقع والسير به ليكون الإنسان فيه على صورة الله" . وفى الحوار الحقيقى يرتبط الإنسان بالمكان وبالمطلق وبالمستقبل .

ويختم د. وليم كتابه هذا بقوله : "الحوار تعبير عن الوحدة الإنسانية فى هذا العالم الذى صار صغيراً متقاربة أجزاؤه ... ويظل البعد المستقبلى فى الحوار محركاً له وباعثاً لحيويته . فأطراف الحوار ينظرون إلى المستقبل ، ويحددون ملامحه ، ويصممون على جعله خيراً من الواقع الحاضر . أما النقطة المؤكدة فى هذا المستقبل فهى الإنسان : هو البداية وهو الوسيلة وهو النهاية - الإنسان الصاعد إلى آفاق مستقبله بجناحين من العلم والدين" .

ويفرق د. وليم بين الفرد والشخص فى كتابه «المسيحية والإسلام على أرض مصر». "فالفرد يحيا فى عزلة تامة عن الآخرين، وليس لديه قناعة بأن ثمة عنصراً فى كيانه يربطه - أى يوحده - بالآخرين. لا يهمه سوى ما له من حقوق، ولا يرى فى الآخرين سوى وسائل للحصول على ما يريد... أما الشخص فهو ينظر إلى نفسه كما إلى عضو فى جسم موحد - هو الطبيعة البشرية. إنه تعبير خاص ومتميز عن طبيعة واحدة كائنة بكمالها فى أشخاص آخرين كل منهم أيضاً تعبير خاص متميز عنها. هنا الخاص لا ينفى المشترك، والتميز لا يستوعب العام".

ويتابع د. وليم مسيرة التاريخ منذ كان "لقاء عمرو وبنيامين على ضفاف النيل، وبه بدأ العيش المشترك على هذه الأرض الطيبة بين الإسلام والمسيحية". وفى هذا الإطار ناقش د. وليم مفهوم الإنسان فى كل من المسيحية والإسلام. ففى كلا الدينين "الإنسان على صورة الله، على صورة الرحمن، خليفة الله، وحامل الأمانة... ومازال الطريق ممتداً، كى يستكمل الإنسان - صورة الرحمن وخليفة الله وحامل أمانته - وكرامته، ويسترد حقوقه. ليس نظرياً وحسب، ولكن على أرض الواقع".

وهكذا تتحقق الوحدة فى المجال الوطنى والسياسى. إنها "وحدة دم إرتوى به التراب الغالى... هكذا تسلمنا مصر. وعلينا أن نسلمها إلى الأجيال التالية - واحدة عزيزة، مرفوعة العلم، تعبيراً عن الإنسان المحفوظ الكرامة، كامل الحقوق".

ولعل نظرة د. وليم إلى الشخصية الإنسانية وإعلاء قيمتها قد دفعته إلى التعمق فى تحقيق ودراسة «الدسقولية: تعاليم الرسل». وقد أستغرق إعدادها واحداً وعشرين سنة (١٩٥٨-١٩٧٩).

وفى دراسته التحليلية للدسقولية، والتى تقع فى حوالى ثلاثمائة وخمسين صفحة، يختمها بهذه العبارة: "إن الدسقولية فيما تقدمه من تعاليم بشأن الإنسان والمجتمع والكنيسة... تقيم جماعة هى نموذج رائد وواقعى فى إحترام الإنسان وضمان حقوقه فى كافة نواحى الحياة الإجتماعية والفكرية والسياسية والإقتصادية، وتؤكد يقينية التقدم وتجاوز الواقع المتخلف ومجئ المستقبل الأفضل - بلا حدود. وذلك كله بالإضافة إلى أنها الجماعة التى يملك فيها المسيح، ويرعى الإنسان، ويحقق له أرقى مستويات الحياة".

ولا ينفصل الإنسان فى فكر د. وليم عن الكون المحيط به. فالدارس لكتابات د. وليم يستشف فيها نظرة كونية تربط بين الإنسان والطبيعة والكون ككل. ويتعمق د. وليم دراسة القراءات الكنسية، وصلوات القداس الإلهى، وقراءات أسبوع الآلام والطلبات التى ترفع فى هذا الأسبوع، ويرى فيها معاً إنسانية وكونية تحتاج إلى دراسة متأنية.

كان د. وليم فى حياته العامة والخاصة مثالاً يحتذى للشخصية الإنسانية المتكاملة. كان نبراساً لنا فى الجد والإجتهاد والسهر المتواصل. وعلى مدى الأعوام، كنا نسعى فى خطاه، علنا نبلغ بعضاً من كفاحه وجده وعرقه، والذى تميز بالفكر العميق، والروح الوثابة، والقلم الوضاء.

ورحل مفكر الجماعة الوطنية
دكتور وليم سليمان قلادة(*)
١٩٢٤ - ١٩٩٩

د. مينا بديع عبد الملك

فى أسى بالغ فقد المجتمع المصرى بصفة عامة والمجتمع الكنسى القبطى بصفة خاصة أحد المفكرين الأقباط وفارس الوحدة الوطنية ومحرك الأغلبية الصامتة سيادة المستشار وليم سليمان قلادة بعد أن أكمل رسالته نحو الوطن والكنيسة على أكمل وجه تاركاً لنا تراثاً غنياً بالعديد من المفاهيم الوطنية والكنسية، وقدوة طيبة فى مواجهة العديد من المشاكل بمرجعية قومية وكنسية نقية .

من دفتر أحوال أعماله :

١- فى أبريل ١٩٥٥ حصل على درجة الدكتوراه فى القانون من جامعة القاهرة عن الرسالة التى تقدم بها بعنوان (التعبير عن الإرادة فى القانون المدنى المصرى) حيث قررت لجنة الإمتحان منحه درجة الدكتوراه فى القانون بدرجة جيد جداً مع التوصية بتبادل الرسالة مع الجامعات الأخرى .

٢- عمل بمجلس الدولة وتدرج فى مناصبه القضائية حتى أصبح وكيل المجلس ومستشاراً بالمحكمة الإدارية حتى عام ١٩٨٤ حينما بلغ السن القانونية .

٣- إشترك عام ١٩٧٩ فى عضوية اللجنة المصرية لبحث شئون التعاقد بين حكومة السودان والشركة الفرنسية التى قامت بتنفيذ مشروع قناة جونجلى بجنوب السودان .

(*) جريدة وطنى ١٧ أكتوبر ١٩٩٩ .

دراساته وكتاباته :

قام بالعديد من الدراسات (١٩٤٤-١٩٩٩) فى مجالات التاريخ المصرى والتراث القبطى والوحدة الوطنية . ومن هذه الدراسات أصدر العديد من المؤلفات نذكر منها :

١- الكنيسة المصرية تواجه الاستعمار والصهيونية (١٩٦٨) .

٢- الحوار بين الأديان (١٩٧٦) - إصدار الهيئة العامة للكتاب .

٣- تعاليم الرسل (١٩٧٩ ، ١٩٨٩) .

٤- مجلس الدولة ودوره فى المجتمع المصرى (١٩٨٠) .

٥- المسيحية والإسلام على أرض مصر (١٩٨٦) - من سلسلة كتاب الحرية (٩) .

٦- مصر فى طقوس كنيستها (١٩٨٩) - إصدار مكتبة المحبة .

٧- مدرسة حب الوطن (١٩٩٣) - إصدار مكتبة أسقفية الشاب .

٨- مبدأ المواطنة (١٩٩٩) - المركز القبطى للدراسات الإجتماعية .

أعماله فى عام ١٩٩٩ :

١- عضو لجنة رسالة الماچستير المقدمة من الأستاذ مجدى جرجس بكلية الآداب جامعة القاهرة بعنوان (القضاء القبطى فى مصر) وطبعت هذه الرسالة فى كتاب يحمل نفس العنوان وصدر عن دار «ميريت» للنشر والمعلومات من سلسلة (تراث الأمة) وقام د. وليم سليمان بكتابة مقدمة الكتاب حيث أكد على أن الكنيسة القبطية أقدم المؤسسات الشعبية المصرية وواصلت رسالتها على مدى عشرين قرناً دون إنقطاع .

٢- قدم عرضاً وافياً على مدى أربع صفحات من القطع الكبير لكتاب (المسيحية المصرية التقليدية : تاريخ الكنيسة القبطية الأرثوذكسية) لمؤلفه ثيؤدور باترك والصادر عن دار النشر فيشر بارك عام ١٩٩٦ ، وذلك بالعدد الثانى من السنة الأولى لمجلة (الكتب وجهات نظر) والصادرة في مارس ١٩٩٩ .

٣- فى مساء الخميس ٢٩ يوليو ١٩٩٩ حضر إلى مدينة الاسكندرية (وكانت آخر زيارة له) بدعوة من جماعة تحوتى للدراسات المصرية وألقى محاضرة قيمة بقصر التذوق

بسيدى جابر بعنوان (المواطنة فى تراث المصريين) وكان لى الشرف أن أقوم بتقديمه لجمهور الحاضرين من مثقفى مدينة الاسكندرية، بينما كنت أمر بظروف صحية قاسية، حيث قدمته كفارس الوحدة الوطنية ومحرك الأغلبية الصامتة ومفكر الجماعة المصرية.

مفاهيم للحوار الناضج :

يقول د. وليم سليمان فى كتابه (الحوار بين الأديان) إن «الحوار» كلمة دخلت قاموس العلاقات بين الأديان والايدولوچيات حديثاً. وهى تعنى - أول كل شئ - أن كل طرف، صاحب دين أو عقيدة، يرى الطرف الآخر جديراً بالإحترام وبالمناقشة.

ثم يقدم لنا المفاهيم الآتية فى الحوار :

١- نقطة البداية فى «الحوار» هى الإحترام المتبادل - الذى يقوم على الحرية والمساواة بين الطرفين. فكل من الطرفين لا يملك إزاء الآخر إلا الرأى يقدمه والنية الحسنة.

٢- الحوار الصحيح ينطلق من نظرة إنسانية شاملة، يتعارض على أساسها طرفا الحوار على إحترام كرامة الإنسان وحقوقه فى أى مكان وعلى تأكيد وحدة الجنس البشرى.

٣- الحوار الصحيح أخذ وعطاء وفيه تنتفى الأنانية.

٤- الحوار يهدف إلى إنقاذ الإنسان من الضياع فى شعوره بالإكتفاء الذاتى.

٥- الحوار يعطى إحساساً بعدم الإكتمال وبالحاجة إلى الآخر.

٦- الحوار مع الأديان الأخرى هو أحد أشكال ممارسة الإنسان لإيمانه الشخصى. أنه الأفصاح عن النور الكائن فى هذا الإيمان.

قصته مع كتاب تعاليم الرسل :

إهتمامه بتعاليم الرسل التى يطلق عليها (الدسقولية) بدأ منذ نحو عام ١٩٥٨ وظل يعمل بصبر وجلد فى تحقيق النص وإعداده للنشر إلى أن صدر عام ١٩٧٩ أى بعد أكثر من عشرين عاماً. وإهتمامه الأول لهذا الكتاب يعود إلى ما يقدمه هذا الكتاب من صورة الرعاية، أى العلاقة الحميمة بين الراعى وشعبه. وهنا نجد الكتاب يشرح طبيعة الكنيسة

وشروط الراعى وواجباته، وماهية العبادة الكنسية، ودور الجماعة المسيحية فى المجتمع وكيفية سلوك أعضائها فيه. ثم يقول د. وليم سليمان... فى هذه المجالات يقدم كتاب تعاليم الرسل تعليماً مسيحياً أصيلاً - حين يتعمق الدارس مضمونه، يشعر بأنه يعيش الأيام الأولى للجماعة المسيحية، وأن ما يقرأه إنما هو تعبير عن المستوى الروحى والأخلاقى والسامى الذى يصفه أعمال الرسل.

وفى إعداده لكتاب تعاليم الرسل كان متأثراً بالراهب العالم المتنيح القمص عبد المسيح صليب المسعودى. (تنيح فى ١٥ مارس ١٩٣٥) الذى أمضى بالرهبنة فى دير البراموس أكثر من ستين عاماً حقق خلالها كتاب الخولاجى المقدس (الصلوات الكنسية للقداسات) الذى يحوى القداسات الثلاثة بشواهد غزيرة من الكتاب المقدس. ثم يوجه د. وليم سليمان نظرنا إلى أسلوب هذا الراهب الناسك فى التأليف فيقول لنا: (من أروع الصفحات التى يسعد محب العلم حين يقرأها، ما أفصح عنه هذا الباحث المثالى من أسلوب عمله...) ثم سجل لنا د. وليم سليمان ما سجله الراهب القمص عبد المسيح المسعودى بقوله: (ألفت هذا الكتاب فى أثناء مراجعتى القواعد نحو مائة أو مائتى مرة... راجعت هذا التأليف نحو مائة مرة... ولم أعمل بالتسرع المخل... وكنا نعطى النبذة ساعات، والفصل أسبوعاً، والفصل الطويل أسابيع لأجل التيميم والتهذيب...).

بنفس هذا المنهج عمل د. وليم سليمان فى مؤلفاته التى نرى فيها كيف يحب أن يعمل المؤلف والصفات التى ينبغى أن يقتنيها.

إهتمامه بالتشريعات القبطية:

فى يوليو ١٩٥٤ تولى د. وليم سليمان قلادة رئاسة تحرير مجلة «مدارس الأحد» خلفاً للأستاذ نظير جيد الذى ترهبن بدير السريان فى ١٨ يوليو ١٩٥٤ باسم الاب أنطونيوس السريانى ثم صار فيما بعد - بنعمة الله - البابا شنوده الثالث - أطال الله عمره.

فى عام ١٩٥٥ أصدرت مجلة «مدارس الأحد» عدداً خاصاً بعنوان «التشريعات القبطية» وفيه سجل د. وليم سليمان قلادة الآتى:

(فى ١١ نوفمبر ١٩٥٣ قرر مجلس الوزراء تأليف لجنة لدراسة النظم القانونية الخاصة بالمجلس الملى وبالأحوال الشخصية وغيرها. وقد إنتهت اللجنة من عملها وقدمت أربعة مشروعات ... وقد عرض السيد وزير التموين هذه المشروعات للمناقشة والاستفتاء العام، كى يبدى الأقباط فيها رأيهم ...) ثم يضيف د. وليم سليمان قائلاً: (... لقد جلسنا معه نتدارس هذه المشروعات، وتناقشنا وقتاً طويلاً وطلب سيادته أن نقدم إليه قوانين الكنيسة ومراجعها ليطلع عليها ويدرسها، ولقد دعانا أن ندرس ما إنتهت إليه اللجنة وأن نعلن رأينا فيه - مؤكداً المرة بعد المرة - أن هذه المشروعات ليست نهائية، بل أنها قابلة للتعبير بما يتفق ونظام الكنيسة الأصلى، وصالح الأقباط. . كما أكد سيادته بأنه أول من يحرص على حقوق الكنيسة، ويعمل للمحافظة على حقوقها).

ومن كنز قلبه الصالح يسجل د. وليم سليمان تعليقاً على ما أكده سيادة الوزير فقال:

حقوق الكنيسة ... ما أروع هذه الكلمات ... الا بارك الله فى كل لسان ينطق بها، وحيا الله كل إنسان يعمل من أجلها، وليمجد إله البيعة كل عامل من أجل حقوقها وتراثها.

ليمجده فى هذا العالم بأكاليل المجد والفخار، وليبارك له فى عمله وفى جهده، وليمنحه النعمة بعد النعمة، والتقدم إثر التقدم ... وليكلله فى الدهر الآتى بالحياة الأبدية فى ملكوت السموات.

وهكذا بقوة دفع متزايدة - مصدرها قلبه النقى ومحبته الصادقة للكنيسة - استمر د. وليم سليمان يكتب ويتحدث ويناقش فى التشريعات المختلفة فى نطاق القانون الكنسى حتى أثرى حياتنا بالعديد من القيم والمبادئ الثابتة وأثرى المكتبة القبطية بالعديد من المؤلفات القيمة.

إنطلاق نفسه البارة:

وبينما تودع الكنيسة القبطية العام القبطى ١٧١٥ للشهداء، إنطلقت نفس إبن الكنيسة البار د. وليم سليمان الذى تعلقت نفسه بشهداء الكنيسة وقديسيها وآبائها. وإرتبطت

نفسه بالإنجيل والأجبية والابصلمودية والخولاجى المقدس. كان عوناً لكل سائل ومجتهد وطالب معرفة. كان قدوة طيبة وقائداً ماهراً بأبوة صادقة.

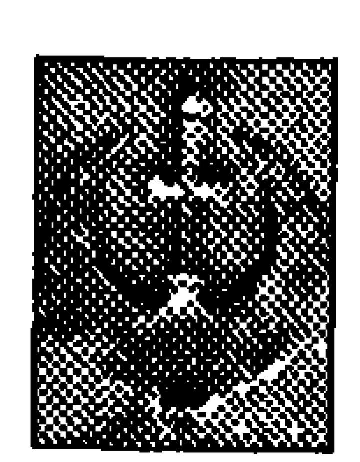
وإن كنا نأسف على رحيله، نطلب من الرب أن يكلله باكليل المنتصرين الذين خرجوا من سجن هذا الجسد غالبين. وهناك فى السماء يقدمون صلوات من أجلنا كى ما نكمل مثلهم.

سلام لروحك يا د. وليم سليمان وأنت فى مساكن النور والفرح بعد أن تحررت من جسد المرض والتعب والألم.

خامساً : حوار مع ..

الدكتور وليم سليمان قلادة

- حوار لن يقرأه صاحبه   سامح فوزى.



حوار لن يقرأه صاحبه

د. وليم سليمان قلادة لـ «وطنى»(*) :

«الذمية» تعبر عن الفتح والغزو
و«المواطنة» تجسد النضال الوطنى والدستورى

استبعاد الآخر الدينى ينتهى إلى تكفير الذات

الأقباط والمسلمون أوجدوا مساحة قيم مشتركة للعيش معاً

حوار : سامح فوزى

الدكتور وليم سليمان قلادة مفكر وطنى بارز له إبداعات ومساهمات قيمة فى مجال القانون المدنى والمواطنة والتاريخ السياسى. ترقى فى سلك القضاء حتى صار وكيلاً لمجلس الدولة، وبعد أن أحيل على المعاش تفرغ لمشروعه الفكرى حول «المواطنة» فى مصر، عاش بسيطاً متواضعاً ورحل عن عالمنا منذ أيام فى صمت عجيب.

قال عنه أحد المثقفين يوم تشييع جثمانه أنه مواطن مصرى شريف. . لو سمع هذه العبارة فى حياته لسعد بها كثيراً لأن كلمة «المواطنة» ومشتقاتها من أكثر الكلمات قرباً وإرتياحاً لنفسه.

عرفت الدكتور وليم سليمان قلادة منذ بضعة سنوات لمست خلالها وطنيته واستنارته، وتدينه الحقيقى وحنانه الأبوى.

كان مفكراً مدققاً يتعامل فى دنيا الفكر مثلما كان يجلس على منصة القضاء يقرأ كل عبارة وينقح كلماته، ويضبط عباراته. . كان يكتب بقلم رصاص يصارع الكلمات والعبارات حتى تصير جزءاً من وجدانه وفكره.

(*) وطنى ١٩ سبتمبر ١٩٩٩.

كثيراً ما كنت استمع إلى نصائحه وأنفذها بكل أمانة . . كنت أشعر أنه إنسان مثقف مجرب لديه من القيم والأخلاقيات ما يجعل ضميره حياً نابضاً لا يأخذ أجازة سنوية أو إعتيادية أو حتى عارضة .

كنت فى الخارج وما أن عدت إلى القاهرة حتى سمعت خبر وفاته حزنت وعدت أفتش عنه فى فكرى وخاطرى تذكرت محبته ، وصدره الواسع وإبتسامته التى لا تفارق وجهه ، وبيته المحب الذى كنت أطرق بابه دائماً . . وتذكرت أيضاً حواراً أجريته معه ، لم ينشر ولم أدر لماذا لم ينشر؟ أهو النسيان؟ . . أم الإنشغال؟ أم الكسل؟ . . أم هى إرادة الله أن ينشر الحوار دون أن يقرأه صاحبه .

*** قلت : نعرف خبرتك الطويلة فى مجال الحوار الإسلامى المسيحى فما ملامح تجربتك الخاصة فى هذا الميدان، وما الدروس المستخلصة منه؟**

**** قال :** تعود خبرة الحوار الإسلامى المسيحى إلى التعددية التى تعرفها مصر منذ مئات السنين . وهناك مقومات موضوعية تجعل صفة «التعددية» تنطبق على هذا المجتمع ، حيث تقوم مقومات الكيان المصرى على أساس الجغرافيا ، فمصر سهل منبسط لا توجد به عوائق تمنع إتصال فريق من المواطنين بفريق آخر ، ولا توجد وسط هذا السهل جبال أو هضاب تمنع الإتصال أو تعزل فريقاً من الشعب عن باقى المكونات . ومن المعروف أن الطبيعة البشرية المصرية موحدة . وأجمع الدارسون أن لها القدرة على استيعاب كل الوافدين بحيث يستحيل التفرقة من الناحية العرقية بين مصرى وآخر .

ويجعل النهر المركزى - أى نهر النيل - المجتمع كله كتلة واحدة لابد أن تتعاون لأجل صنع الحياة على ضفتى هذا النهر .

وتشهد مصر منذ بداية الوجود على أرضها ظاهرة الدولة المركزية الموحدة التى تظلل الجميع بحمايتها وتضع وتنفذ المشروع العام لهذا المجتمع . وفى هذا السياق يأتى الحديث عن اللغة المشتركة ، إذ يتحدث المصريون منذ القدم لغة واحدة ، ويعتبر مسلك الكنيسة القبطية فى إستخدام اللغة العربية فى كتابة تعاليمها وترجمة تراثها وصلواتها أحد الأسس التى قامت عليها وحدة مكونات هذه الأمة ولا نغفل الدور المهم الذى لعبه التاريخ فى

ترسيخ دعائم هذه الوحدة، حيث إشترك المصريون جميعاً فى صنع التاريخ المصرى من خلال مواجهة كل مكونات الجماعة الوطنية للتحديات المشتركة.

وفى ضوء ما سبق يمكن الحديث عن التعددية الدينية على أرض الوحدة. فقد تزايد إقتناع الشعب خاصة مع تواصل حركته الوطنية - منذ وقت بعيد - بعدم جدوى الجدل الدينى. وإزداد إقتناع الجماعة المصرية بحتمية الإنصهار فى وحدة حقيقية ولذلك أفرزت الحياة المشتركة مساحة مشتركة من القيم والمفاهيم يتبناها ويطبقها جميع المصريين، مسلمين ومسيحيين، هذه المساحة المشتركة تشمل مفهوم الإنسان وكرامته وحقوقه فى الإسلام والمسيحية والإعتزاز بالوطن والحرية والمساواة والعدل. وصارت هذه المساحة المشتركة - وإن كانت كامنة - هى الخلفية المرجعية العامة لجميع أبناء مصر. ومن خلالها بزغ مفهوم المواطنة، وفى إطارها قام البناء الدستورى والسياسى.

*** قلت : هل تعد هذه المساحة المشتركة - فى تصورك - بديلاً عن الدين؟**

**** قال :** هذه المساحة المشتركة ليست بديلاً عن الدين بل إنها أولاً تتغذى فى مضمونها على المسيحية والإسلام. وثانياً تضمن الأصالة لكل مكون من مكونات الجماعة حيث يتمكن كل مكون أن ينسب هذه المساحة المشتركة إلى نفسه وتراثه دون تعارض مع الآخر أو تجاهل له. وثالثاً فإن هذه المساحة المشتركة تحث كلاً من مكونات الجماعة على مواصلة ممارسته الدينية - كل فى نطاق دينه - وتهيىء الشخص والجماعة الدينية للقيام بواجباتهم طبقاً لمفاهيم المساحة المشتركة وقيمها وأهدافها.

*** قلت : الحوار قد يتعثر أحياناً وتتقطع به السبل بعض الوقت، فما هو حجر العثرة الرئيسى فى تصورك الذى يعترض مجرى الحوار بين مكونات الجماعة الوطنية؟**

**** قال :** أعتقد أن التحدى الأكبر هو إنغلاق كل طرف على نفسه.. ولعل من أسوأ الكلمات التى يمكن أن تستقر فى عقلية الإنسان هى صيغة «أفعل التفضيل» بحيث يظن المرء أن ما لديه هو الأحسن والأفضل هذه الصيغة تغلق الباب دون فهم الآخر فى حين أن الإنفتاح على الآخر وعدم التعالى عليه والتخلى عن الرغبة فى الهيمنة على فكره هى وسائل ضرورية للحوار الآن.. وفى كل وقت.

وفى هذا الإطار هناك آليتان فى الحوار . الأولى آلية الاستبعاد وتقوم على البحث عن الفروق والإختلافات . والآلية الثانية تقوم على البحث عن المساحة المشتركة والتوفيق ويجب أن نتفق أن آلية الاستبعاد خطيرة جداً لأن من يبدأ بإستبعاد الآخر الدينى لابد أن ينتهى إلى تكفير الذات بمعنى أن من يضع المسافات بينه وبين الآخر الدينى بالبحث فى الإختلافات ينتهى به المطاف إلى البحث فى الإختلافات والفروق داخل طوائف دينه لأن آلية الإستبعاد نشطة .

*** قلت : الفكرة المحورية فى مشروعك الفكرى هى الحركة الوطنية والدستورية المصرية التى استخلصت الإستقلال . . فما ملامح هذه الحركة؟**

**** قال :** هناك ركنان للمواطنة : المشاركة فى الحكم والمساواة بين جميع المواطنين والدستور المصدر الأساسى الذى يقر صفة المواطنة ولا يصبح للنظام الدستورى قوة وفاعلية إلا إذا كان تسجيلاً لإنجازات حركة تجرى على صعيد الواقع . . إذن البحث المجدى فى مبدأ المواطنة لا يكون مجاله دراسة «النظام» الدستورى ولكن بالأحرى «الحركة» الدستورية .

وعرف التاريخ المصرى لقرون طويلة إنفصالاً بين الفئة الحاكمة وبين الأهالى أى بين الحكام والمحكومين . هؤلاء يجمعهم شعور بالظلم الذى يمارسه إزاءهم الحكام مع تصميم متزايد على القيام بحركة لإختراق حاجز السلطة بهدف إستخلاص حقهم فى أن يتولوا بأنفسهم حكم بلادهم - أى استخلاص صفة المواطنة - وهؤلاء المحكومون صاروا فى تعدد دينى منذ عام ٦٤٠ ميلادية .

إن الحقيقة الأساسية فى التاريخ الدستورى المصرى هى أن إختراق حاجز السلطة والعبور من حالة المحكومين إلى مقاعد الحكام تم بواسطة جميع مكونات الجماعة ، الأقباط والمسلمين وهكذا صارت لكل مصرى صفة المواطنة من خلال المشاركة الأصيلة فى الحركة الدستورية وفى واقع الأمر فإن الحياة الدستورية المشتركة للشعب تمضى كل يوم فى هدوء كما تجرى مياه النيل مجسدة فى كل عمل قيم ومفاهيم المساحة المشتركة التى إرتضاها أبناء مصر - مسلمين وأقباطاً - خلفية مرجعية كامنة فى وجدانهم وضمائرهم .

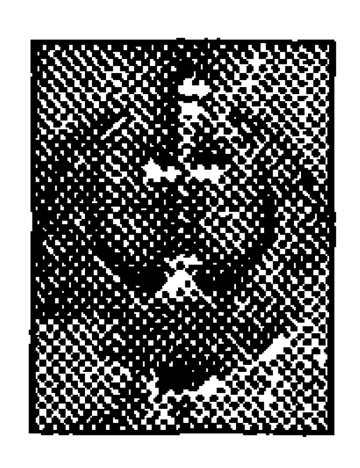
*** قلت : يطرح البعض مفهوم «الذمية» بديلاً عن «المواطنة» . . وأحياناً يتردد أن كلا المفهومين متطابقين فما رأيك؟**

**** قال :** إن الفكرتين تصدران من منطلقين لا يمكن التوفيق بينهما . فالذمية تعبير عن حالة الغزو وحكم الفاتحين ، والمواطنة تعبير عن حركة المحكومين لإستخلاص السلطة لأنفسهم من الحكام الذين يحكمون لصالح أنفسهم . ولذلك فإن الذى أجرته هذه الحركة هو على وجه التحديد نسخ مبدأ الذمية وإحلال المواطنة مكانه ، التى قامت على أساس العقد الإجتماعى بين مكونات المحكومين .

وعلى العموم فإن فكرة الذمية تفترض أن المجتمع الذى يعيش فيه غير المسلمين ليس هو مجتمعهم ، وهى بهذا تمثل الحد الأدنى من ضمانات غير المسلم فى مجتمع المسلمين وإذا كان هذا الكلام يمكن أن يكون مفروضاً فى إطار دولة تقوم السلطة فيها على أساس الغزو فإنه لا يكون سائغاً فى الدولة التى قامت نتيجة حركة شارك فيها الجميع مسلمين وأقباطاً ، فدخلوا مجال المواطنة والحكم والسياسة صحبة فى وقت واحد .

سادساً : الدكتور وليم سليمان قلادة
حياته ومساهماته

- حياتـه فى سطـور.
- مساهماته الفكرية.



وليم سليمان قلادة :

حياته فى سطور

- ولد فى ١٤ مارس ١٩٢٤، فى مدينة فوة بمحافظة كفر الشيخ - مصر .

- حصل على ليسانس الحقوق من جامعة القاهرة عام ١٩٤٤ .

- نال دكتوراه الحقوق فى القانون المدنى من جامعة القاهرة عام ١٩٥٤ وذلك فى موضوع :

  * التعبير عن الإرادة فى القانون المدنى المصرى : دراسة مقارنة .

  بتقدير جيد جداً مع تبادل الرسالة مع الجامعات الأخرى .

- عين فى الشئون القانونية بوزارة الدفاع عقب تخرجه، وترقى فى السلم الإدارى حتى أصبح رئيساً لقسم التشريع بالإدارة القانونية بوزارة الحربية. وقد نال الدكتوراه أثناء عمله بوزارة الحربية وعين بمجلس الدولة عندما أعيد تشكيل المجلس فى عام ١٩٥٥ .

- تدرج فى مناصب مجلس الدولة القضائية منذ عام ١٩٥٥ إلى أن أنهى خدمته فى عام ١٩٨٤ وذلك كما يلى :

  * مفوض الدولة لدى محكمة القضاء الإدارى .

  * مستشار لمحكمة القضاء الإدارى .

  * مستشار بالمحكمة الإدارية العليا .

  * أكمل خدمته وكيلاً لمجلس الدولة ١٩٨١ - ١٩٨٤ .

- كان له دور كبير فى التأسيس فى مجال العقود الإدارية .

- كان عضواً باللجنة المشكلة من حكومتى مصر والسودان لإعداد شروط العقد الخاص بإنشاء قناة جونجلى بجنوب السودان وقامت اللجنة بمهمتها فى الخرطوم والقاهرة فى عامى ١٩٧٩ و١٩٨٠ .

- عمل مستشاراً قانونياً للهيئة المصرية العامة لمشروعات الصرف EPADP فى الفترة من ١٩٧٣ إلى ١٩٨٤ ، وأثناء هذه المدة كان العضو القانونى الممثل لمجلس الدولة فى لجان البت فى المناقصات المحلية والعالمية التى تمت بالتعاون مع البنك الدولى والولايات المتحدة الأمريكية وغيرهما.

- شارك فى الإعداد لمشروع القانون الذى قدمته وزارة الأشغال العامة والموارد المائية بشأن إتحادات مستخدمى مياه الرى WVAs ١٩٩١ - ١٩٩٤ .

- قام بإعداد الجزء القانونى بمشروع إدارة المياه بمحافظة الفيوم الذى يتم بالتعاون مع الحكومة الهولندية، فى عامى ١٩٩٤ و١٩٩٥ .

- منح وسام العلوم والفنون من الطبقة الأولى فى أغسطس ١٩٩٥ .

- بالإضافة إلى مسيرته القانونية كان له مساهمات فكرية رائدة فى مجالات التاريخ المصرى والحوار الإسلامى - المسيحى والوحدة الوطنية والتراث الكنسى.

- شارك فى العديد من الندوات والمؤتمرات فى الفترة من ١٩٦٩ وحتى ١٩٩٩ .

- شارك فى مناقشة العديد من رسائل الدكتوراه والماچستير.

- رأس تحرير مجلة مدارس الأحد لسان حال حركة مدارس الأحد والتى كانت ترفع لواء الإصلاح الكنسى فى الأربعينيات والخمسينيات من هذا القرن وذلك فى الفترة من ١٩٥٤ وحتى ١٩٥٩ ، ونشر فيها العديد من المقالات والدراسات المرجعية الهامة خاصة فى مجال التشريعات والقوانين الكنسية.

- شارك فى تأسيس الجمعية المصرية للوحدة الوطنية.

- شارك كمستشار للمركز القبطى للدراسات الإجتماعية ١٩٩٤ - ١٩٩٩ .

- شارك كعضو فى الفريق العربى للحوار الإسلامى - المسيحى بالتعاون مع مجلس كنائس الشرق الأوسط ١٩٩٥ - ١٩٩٩ .

- إحتفل المركز القبطى للدراسات الإجتماعية بيوبيله الماسى فى يونيو ١٩٩٩ فى حضور كوكبة من أصدقائه ومحبيه وتلاميذه.

وليم سليمان قلادة :

مساهماته الفكرية

* وفيما يلى قائمة بمساهماته الفكرية ونشاطاته المتنوعة .

أولاً : الكتب المنشورة :

(أ) الكتب العامة :

١- الكنيسة المصرية تواجه الاستعمار والصهيونية ، دار الكاتب العربى للطباعة والنشر ، القاهرة، بدون تاريخ ، ١٠٠ صفحة . (صدر فى عام ١٩٦٨) .

٢- الحوار بين الأديان ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٦ ، ٢٠٠ صفحة .

٣- المسيحية والإسلام على أرض مصر ؛ طبعتان :

* دار الحرية ، القاهرة ، فبراير ١٩٨٦ ، ٣١٣ صفحة .

* دار سينا للنشر ، ١٩٩٣ (مزيدة) .

٤- مبدأ المواطنة ، المركز القبطى للدراسات الإجتماعية ، سلسلة المواطنة رقم (٣) ، القاهرة ، ١٩٩٩ ، ٢٣٢ صفحة .

٥- تحت الطبع : الجزء الثانى من مبدأ المواطنة ، المركز القبطى للدراسات الإجتماعية ، سلسلة المواطنة ، رقم (٥) ، القاهرة ، ٢٠٠٠ .

(ب) الكتب الكنسية

١- تعاليم الرسل (الدسقولية) ، طبعتان : (النص وتحقيقه فى ٥٠٠ صفحة ودراسة عن مضمونه فى ٣٠٠ صفحة .

* كنيسة العذراء الفجالة ، القاهرة ، ١٩٧٩ .

* دار الثقافة ، القاهرة ، ١٩٨٩ .

٢- المسيح فى بيته، د. ن، القاهرة، ١٩٨٢، ١٧٦ صفحة.

٣- مائدة الرب، طبعتان.

* بيت التكريس لخدمة الكرازة، ١٩٨٥، ٥٦ صفحة.

* بيت التكريس لخدمة الكرازة، ٢٠٠٠، ٥٦ صفحة.

٤- مصر فى طقوس كنيستها وحكايات أخرى، مكتبة المحبة، القاهرة ١٩٨٩، ٢٠٠ صفحة.

٥- مدرسة حب الوطن، أسقفية الشباب، سلسلة الإيمان والثقافة والمجتمع رقم (٢)، طبعتان:

* الأولى ١٩٩٣، ٩٦ صفحة

* الثانية ١٩٩٧ (مزيدة)، ١٧٦ صفحة.

٦- رسالة اكليمندس الرومانى إلى الكورنثيين، (ترجمة وملاحظات) مؤسسة القديس أنطونيوس: المركز الأرثوذكسى للدراسات الآبائية، سلسلة نصوص آبائية رقم (٤٦)، ١٩٩٩، ٧١ صفحة.

ثانياً: أعمال غير منشورة:

١- التعبير عن الإرادة فى القانون المدنى المصرى، دراسة مقارنة، رسالة دكتوراه، ١٩٥٥، باللغتين العربية والفرنسية، كلية الحقوق - جامعة القاهرة.

٢- مصر: التحدى الحضارى للفكرة الصهيونية.

ثالثاً: دراسات نشرت منفردة:

١- الندوة العالمية للمسيحيين من أجل فلسطين، مستخرج عن: مجلة مرقس، القاهرة يونيو، يوليو، أغسطس، سبتمبر، ١٩٧٠.

٢- التراث الكنسى القبطى فى إختيار بطريرك الكنيسة القبطية، الشركة المصرية للطباعة والنشر، ١٩٧١.

* (فى الأصل مقال نشر فى مجلة الطليعة، أغسطس ١٩٧١).

٣- مجلس الدولة : تاريخه ودوره فى المجتمع المصرى ، مستخرج عن : مجلة مجلس الدولة السنة ٢٧، ١٩٨٠ ، ص ١١٩-٢٣٠ .

رابعاً : دراسات نشرت فى كتب مشتركة مع آخرين :

١- دراسة بعنوان : فى أصول الصيغة المصرية للوحدة الوطنية ، نشرت ضمن كتاب : الشعب الواحد والوطن الواحد - دراسة فى أصول الوحدة الوطنية ، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام ، ١٩٨٢ ، ص ٩-٤٥ . (تقديم الدكتور بطرس بطرس غالى بالمشاركة مع المستشار طارق البشرى والدكتور مصطفى الفقى) .

٢- دراسة بعنوان : التغيير المؤسسى فى الوطن العربى على النسق الغربى ، نشرت ضمن : التراث وتحديات العصر فى الوطن العربى - بحوث ومناقشات الندوة الفكرية التى نظمها مركز دراسات الوحدة العربية بالقاهرة فى ٢٤ - ٢٧ سبتمبر ١٩٨٤ ، بيروت ، ١٩٨٥، ٤٠٩-٤٧٠ .

٣- دراسة بعنوان : التراث والهوية فى المجتمع ذى الأديان المتعددة - حالة مصر - ، نشرت ضمن : بحوث ومناقشات ندوة تكنولوچيا تنمية المجتمع العربى فى ضوء الهوية والتراث ، العربية للدراسات والنشر ، القاهرة ، ١٩٨٧ ، ص ٢٤١-٢٧٢ .

٤- دراسة حول كتاب تاريخ بطاركة الكنيسة المصرية المعروف بسير البيعة المقدسة لساويرس بن المقفع ، نشرت ضمن موسوعة عصر التنوير : أهم مائة كتاب فى مائة عام ، دار الهلال ، الجزء الأول ، ١٩٩٢ ، ص ٢٧٨-٢٨٩ .

٥- دراسة بعنوان : العلاقات الإسلامية - المسيحية فى الواقع المصرى : المفهوم الأساسى فى الماضى والحاضر والمستقبل ، نشرت ضمن كتاب : العلاقات الإسلامية - المسيحية ... قراءات مرجعية فى التاريخ والحاضر والمستقبل ، مجموعة كتاب (اشراف سمير سليمان) ، مركز الدراسات الإستراتيچية والبحوث والتوثيق ، ١٩٩٤ ، ص ٢٤٩-٣٦٧ .

٦- دراسة بعنوان : نشأة مبدأ المواطنة فى مصر ، نشرت ضمن أعمال ندوة المواطنة :

تاريخياً ودستورياً وفقهياً التى عقدت فى مايو ١٩٩٤، المركز القبطى للدراسات الإجتماعية، سلسلة المواطنة رقم (١)، القاهرة، ١٩٩٨.

٧- دراسة بعنوان: الأقباط من الذمية إلى المواطنة، نشرت ضمن كتاب، مصر فى القرن ٢١. الآمال والتحديات، المحرر والمقدمة الدكتور أسامة الباز، مركز الأهرام للترجمة والنشر، مؤسسة الأهرام، ١٩٩٦، ص ١٧١-٢٠٦.

٨- Christian - Muslim Relations in Egypt, In The Vatican, Islam And The Middle East, Syracuse University Press., 1987, pp. 243-263. (Edited By Kail C. Ellis).

٩- تحت الطبع: دراسة بعنوان: أصول مبدأ المواطنة فى تراث القبط وتاريخ بلادهم، ستنشر ضمن كتاب: المسيحية عبر تاريخها فى المشرق، إصدار مجلس كنائس الشرق الأوسط.

خامساً: الدراسات والمقالات المنشورة فى المجلات والصحف:

١- الفلاح المصرى وملكية الأرض، الطليعة، العدد الأول، يناير ١٩٦٥، ص ٢٤-٤٠.

٢- مسيرة يوليو ١٩٦١ الاشتراكية، الطليعة، العدد السابع، يوليو ١٩٦٥، ص ٥٢-٦٧.

٣- تيارات الفكر المسيحى فى الواقع المصرى، الطليعة، ديسمبر ١٩٦٦، ص ٨٠-١٠٦.

٤- القاهرة في مصر المملوكية، الطليعة، فبراير ١٩٦٩، ص ٤٧-٦١.

٥- محمد على حاكماً، الطليعة، أكتوبر ١٩٦٩، ص ٤٦-٦٣.

٦- إنتخابات البطريرك والتراث الديمقراطى المصرى، الطليعة، أغسطس ١٩٧١، ص ٦٧-٧٥.

٧- الطهطاوى مستبعداً، الطليعة، سبتمبر، ١٩٧٢، ص ١١٨-١٢٤.

٨- الخط الهمايونى والواقع المصرى، الأهرام، ٤ ديسمبر ١٩٧٢.

٩- نقطة البداية لفهم الوجدان المصرى الأصيل، الأهرام، ٣ يوليو ١٩٨١.

١٠- الأخوة والنخوة الوطنية، الأهرام، ١١ ديسمبر ١٩٨١ .

١١- درس للجميع، الأهرام، ٨ يناير ١٩٨٦ .

١٢- محاولة سداد ديون مصر فى القرن التاسع عشر، الهلال، مارس ١٩٨٦ .

١٣- ماذا يمكن أن يحدث لو فشل الحكم الوطنى فى البلاد العربية، الهلال، أغسطس ١٩٨٦ .

١٤- مواطنون لا ذميون (عرض كتاب) الهلال، ١٩٨٧ .

١٥- حوار علمى حول الأقليات والاستقرار السياسى فى الوطن العربى، مجلة السياسة الدولية، أبريل ١٩٨٨، ص ٢٧٦-٢٨١ .

١٦- الضابط الصعيدى موريس فى أوروبا، مجلة الهلال، يناير ١٩٨٩ .

١٧- المطلوب إقامة فقه المحكومين، مجلة منبر الحوار، العدد ١٣، السنة الرابعة، ربيع ١٩٨٩، ص ٥٢-٥٩ .

١٨- فقه المواطنة، الأهرام، ٢٥ مايو ١٩٨٩ .

١٩- العنف يبدأ فكراً، المصور، ٢٣ مارس ١٩٩٠ .

٢٠- لأجل المشروع الوطنى الموحد، الأهرام، ١٧ أبريل ١٩٩٠ .

٢١- الأغلبية الصامتة، الأهرام، ٤ يوليو ١٩٩٢ .

٢٢- الطريق إلى المواطنة، مجلة القاهرة، يوليو ١٩٩٢، ص ١٥-٢٢ .

٢٣- المواطنة المصرية، مجلة القاهرة، سبتمبر ١٩٩٢، ص ٣٦-٤٦ .

٢٤- التقنين المدنى المصرى (بعد أكثر من ٤٠ عاماً من العمل به)، مجلة القاهرة، نوفمبر ١٩٩٢، ص ٦٦-٧٢ .

٢٥- تعقيب فى صدد التراث البروتستانتى فى مصر، جريدة الحياة (اللندنية)، ٣ يونيو ١٩٩٣ .

٢٦- مصر من عبد الرحمن بن عبد الحكم إلى جمال حمدان، الأهرام، ٥ يونيو ١٩٩٣ .

٢٧- الحوار - اللقاء - بين الأديان، مجلة القاهرة، نوفمبر ١٩٩٣، ٩٦-٩٩.

٢٨- الأقباط وكنيستهم فى مسار التاريخ المصرى، مجلة إبداع، فبراير ١٩٩٤، ص ٣٨-٥٤.

٢٩- هذا الكتاب. . وهذا المؤتمر وما بعدهما، مجلة القاهرة، يوليه ١٩٩٤، ص ١٦-٣٥.

٣٠- تعليق على رد سعد الدين إبراهيم، مجلة القاهرة، سبتمبر ١٩٩٤، ص ١٥١-١٥٩.

٣١- دروس ثورة ١٩١٩، الاستقلال ومعنى المواطنة، الأهرام، ٢٤ مارس ١٩٩٥.

٣٢- دستور ١٩٧١ ألغى الخط الهمايونى، الأهالى، ١٠ أبريل ١٩٩٦.

٣٣- تقرير الحالة الدينية فى مصر، مجلة المستقبل العربى، مايو ١٩٩٧، ص ١٣٧-١٤٤.

٣٤- تصويب الأخطاء وتجديد الذاكرة: الخلفية السياسية والإجتماعية والدينية للمسيحية المصرية، مجلة وجهات نظر، العدد (٢)، السنة الأولى، مارس ١٩٩٩، ص ٤٠-٤٣.

سادساً: لقاءات شارك فيها:

١- المؤتمر العالمى الثانى لنصرة الشعوب العربية، القاهرة، ٢٥-٢٨ يناير ١٩٦٩.

٢- الندوة العالمية للمسيحيين من أجل فلسطين، بيروت، ٧-١٠ مايو ١٩٧٠.

٣- اللجنة العالمية الدائمة للندوة العالمية للمسيحيين من أجل فلسطين، باريس، ١١ و١٢ فبراير ١٩٧١.

٤- المؤتمر العالمى الثانى للمسيحيين من أجل فلسطين، كنتربرى، ١١-١٥ سبتمبر ١٩٧٢.

٥- مجلس السلام المسيحى، اللجنة الفرعية بخصوص الشرق الأوسط، القاهرة، ٢٣-٢٧ أبريل ١٩٧٤.

٦- المؤتمر الثلاثون للعلوم الإنسانية فى آسيا وأفريقيا الشمالية، المكسيك، ٣-٨ أغسطس ١٩٧٦.

قدم فيه بحثاً بعنوان:

An Alternative to Religious Change Under Domination

٧- حلقة دراسية حول القانون والتغير الإجتماعى، المركز القومى للبحوث الإجتماعية والجنائية، أسوان، مصر، ١٨-٢١ ديسمبر ١٩٧٦،

قدم فيه دراسة بعنوان:

مجلس الدولة والآثار الإجتماعية لإنشائه فى مصر

٨- حلقة إستشارية حول الوجود المسيحى فى الشرق الأوسط، مجلس كنائس الشرق الأوسط، چينيف، ١٥-١٩ مايو ١٩٨٣.

٩- ندوة الهوية والتراث، المركز الإقليمى العربى للبحوث والتوثيق فى العلوم الإجتماعية، القاهرة، ١٨ ديسمبر ١٩٨٣.

١٠- ندوة التراث وتحديات العصر فى الوطن العربى، مركز دراسات الوحدة العربية، القاهرة، ٢٤-٢٧ سبتمبر ١٩٨٤،

قدم فيها دراسة عن:

التغيير المؤسسى فى الوطن العربى على النسق الغربى.

١١- ندوة التسامح الدينى والتفاهم بين المعتقدات، الأمم المتحدة، چينيف، ٣-١٤ ديسمبر ١٩٨٤.

قدم تقريراً عنها نشره مركز البحوث والدراسات القانونية بإتحاد المحامين العرب، القاهرة، ١٩٨٦، صدر فى كتيب بنفس العنوان مع تعليقات من آخرين، سلسلة حوار الشهر (١).

١٢-ندوة:

The Vatican, Islam and the Middle East, Villanova University, Pennsylvania, USA, 25-26 October, 1985.

قدم فيها بحثاً بعنوان: Christian - Muslim Relations in Egypt

١٣- ندوة تكنولوچيا تنمية المجتمع العربى فى ضوء الهوية والتراث، المركز الإقليمى للبحوث والتوثيق فى العلوم الإجتماعية، القاهرة ٩ و١٠ نوفمبر ١٩٨٥ .

قدم فيها دراسة عن : التراث والهوية فى المجتمع ذى الأديان المتعددة .

١٤- ندوة الصحوة الإسلامية وهموم الوطن العربى، عمان، ١٤-١٦ مارس ١٩٨٧، منتدى الفكر العربى، مؤسسة آل البيت (المجمع الملكى لبحوث الحضارة الإسلامية)، مركز الدراسات السياسية والاستراتيچية بالأهرام، مجلس كنائس الشرق الأوسط .

١٥- الندوة العلمية الدولية عن الإلتزام والموضوعية فى كتابة تاريخ مصر المعاصرة، القاهرة، ٣١ أغسطس - ٣ سبتمبر ١٩٨٧ ، قسم التاريخ بجامعة القاهرة، المركز القومى للبحوث الإجتماعية والجنائية، المعهد الهولندى بالقاهرة، قسم الدراسات العربية بجامعة امستردام .

١٦- ندوة مناقشة كتاب الأقباط والقومية العربية ، مركز دراسات الوحدة العربية ، القاهرة، يونيو ١٩٨٩ ، نشرت أعمالها فى مجلة المستقبل العربى ، عدد ١٢٧ ، سبتمبر ١٩٨٩ .

١٧- ندوة الحوار القومى - الدينى، مركز دراسات الوحدة العربية ، القاهرة، ٢٥-٢٧ سبتمبر ١٩٨٩ .

قدم فيها ورقة بعنوان : نحو فقه سياسى إنسانى .

١٨- ندوة التعليم والتنشئة السياسية فى مصر، الاسماعيلية، ١٦-١٨ ديسمبر ١٩٩٣، حيث قام بالتعقيب على أحد بحوث الندوة حول مناهج التعليم .

١٩- ندوة المواطنة : تاريخياً ودستورياً وفقهياً، المركز القبطى للدراسات الإجتماعية، القاهرة، ١٩٩٤ .

قدم فيها بحثاً بعنوان : نشأة مبدأ المواطنة فى مصر .

٢٠- مؤتمر مسلمون ومسيحيون معاً من أجل القدس، الفريق العربى للحوار الإسلامى - المسيحى، بالتعاون مع مجلس كنائس الشرق الأوسط، بيروت، يونيو ١٩٩٦ .

كلف نيابة عن الفريق بالقاء البيان الختامى لهذا المؤتمر التاريخى الذى ضم المرجعيات الدينية : الإسلامية والمسيحية فى المنطقة ، بالإضافة إلى كوكبة من المفكرين والشخصيات العامة .

٢١- ندوة التراث الابراهيمى ، الفريق العربى للحوار الإسلامى - المسيحى بالتعاون مع مجلس كنائس الشرق الأوسط ، بيروت ، يوليو ١٩٩٨ .
شارك بمداخلة حول :
رؤية مسيحية للتراث الابراهيمى .

٢٢- المؤتمر الخمسينى للقانون المدنى المصرى ، ١٩٩٨ ، وقدم بحثاً بعنوان : صناعة القانون المدنى المصرى .

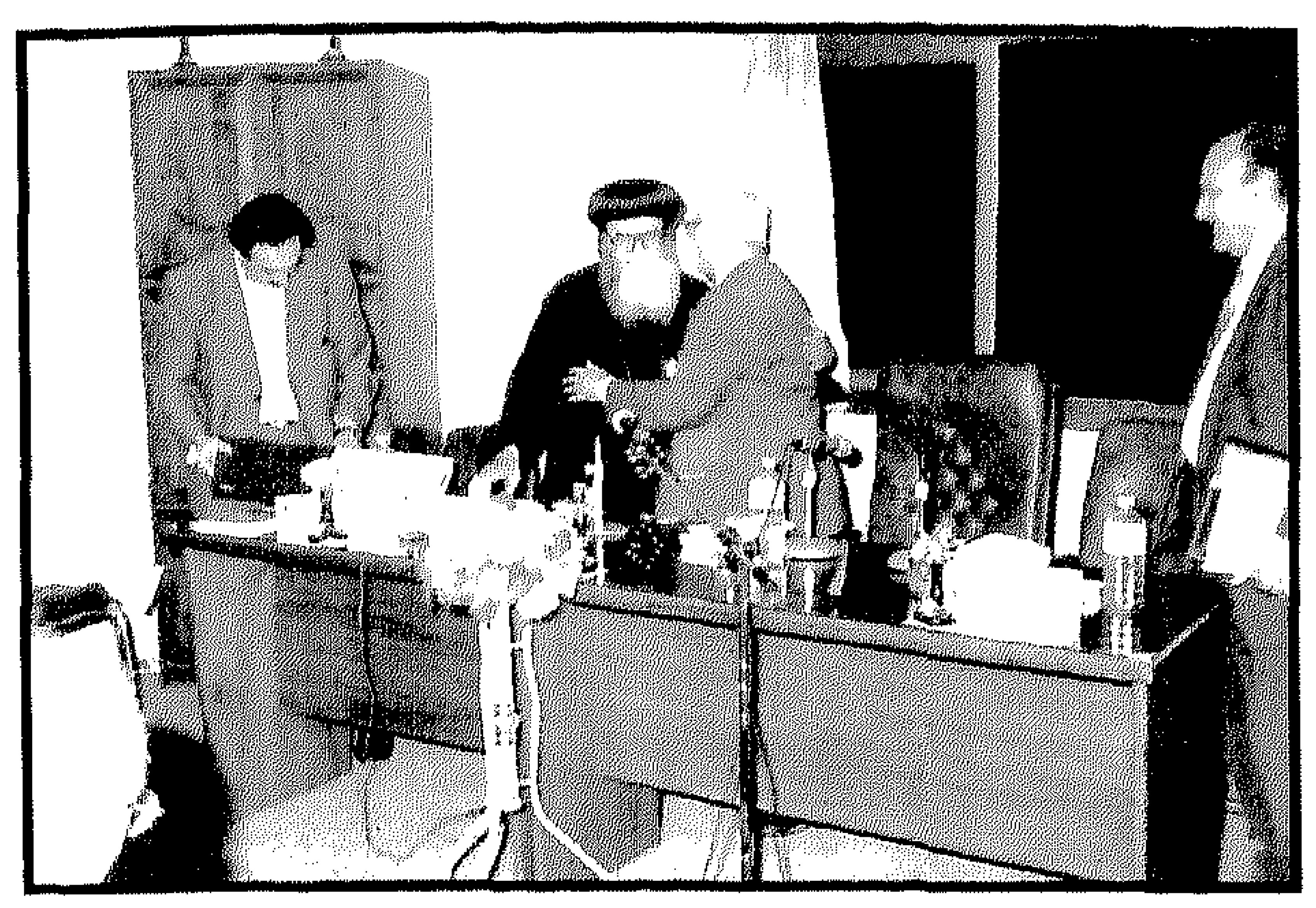
٢٣- ندوة الدور الوطنى للكنيسة المصرية عبر العصور ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، مارس ١٩٩٩ .
قدم ورقة بعنوان : الدور الوطنى للكنيسة المصرية عبر العصور .



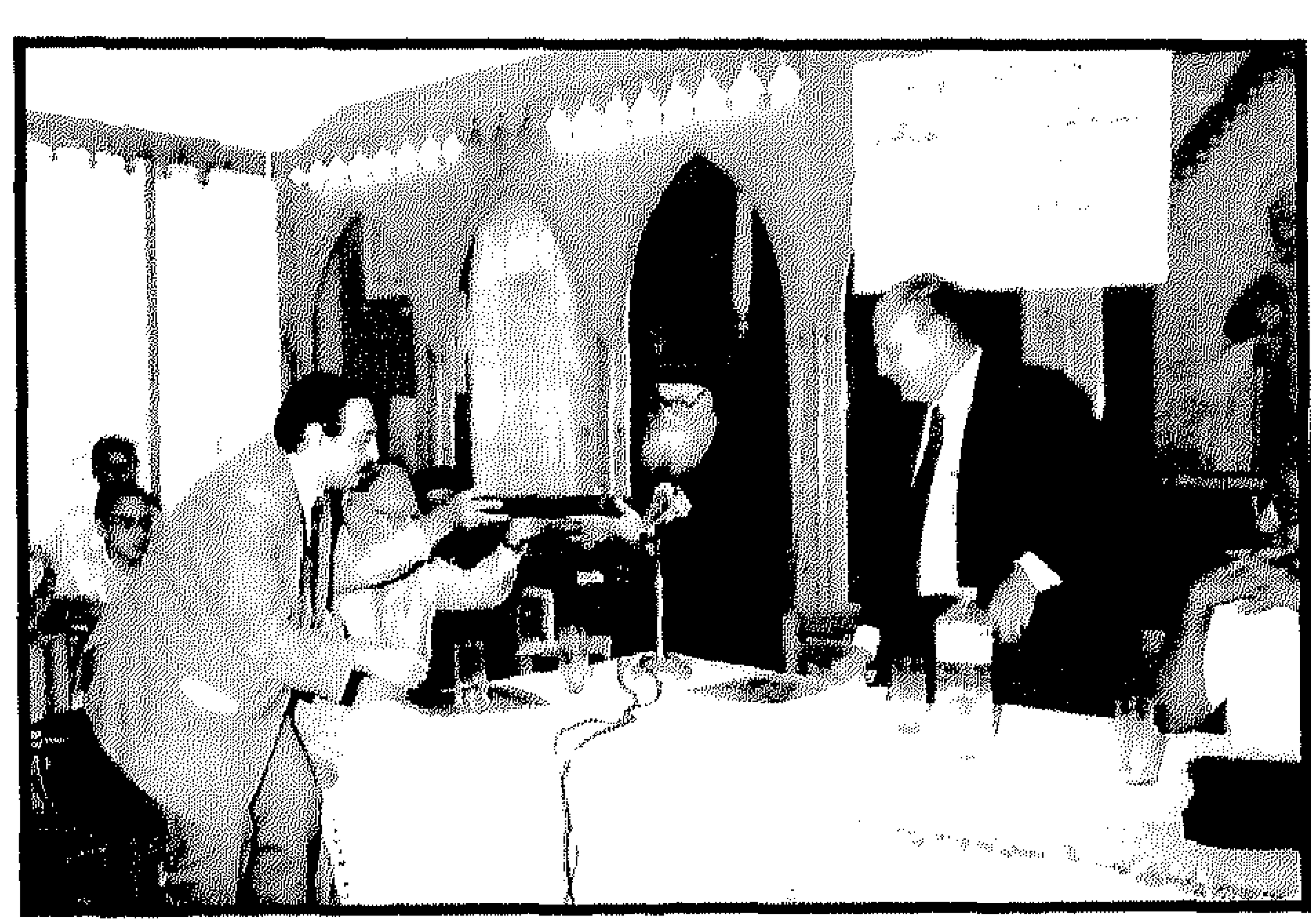
▲ دكتور وليم سليمان قلادة يستلم الوسام من
السيد الرئيس محمد حسنى مبارك - أغسطس ١٩٩٥ .



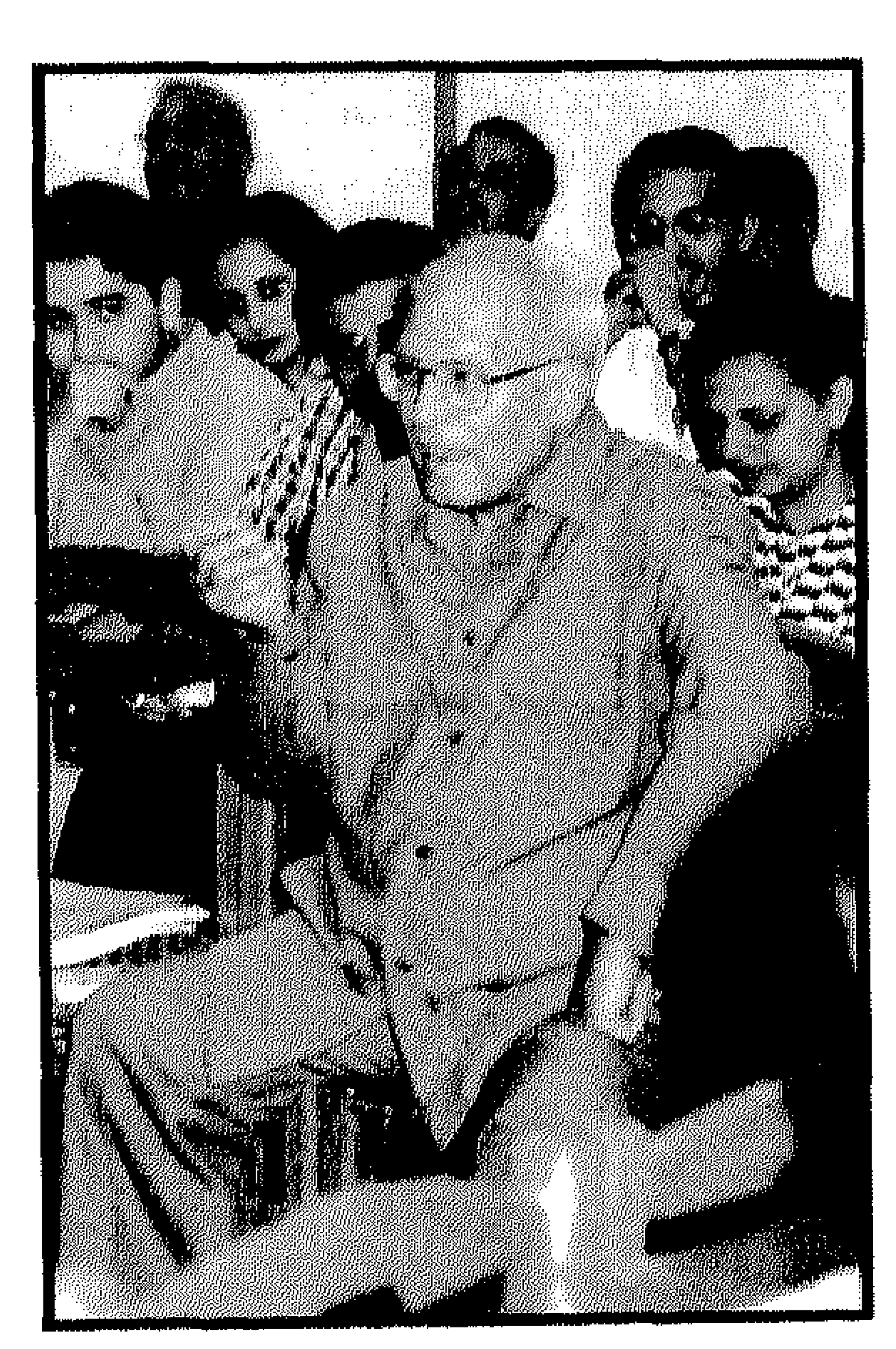
◄
وسام العلوم والفنون من الطبقة الأولى
الذى حصل عليه الدكتور
وليم سليمان قلادة- أغسطس ١٩٩٥ .



نيافة الأنبا موسى والمستشار طارق البشرى يقدمون التهنئة للدكتور وليم سليمان قلادة فى الاحتفال بيوبيله الماسى الذى نظمه المركز القبطى للدراسات الاجتماعية وقد واكب هذا الاحتفال صدور كتابه المرجعى الهام: «مبدأ المواطنة» - يونيو ١٩٩٩ .



الدكتور وليم سليمان قلادة يشارك نيافة الأنبا موسى فى تكريم المستشار طارق البشرى- سبتمبر ١٩٩٨ .



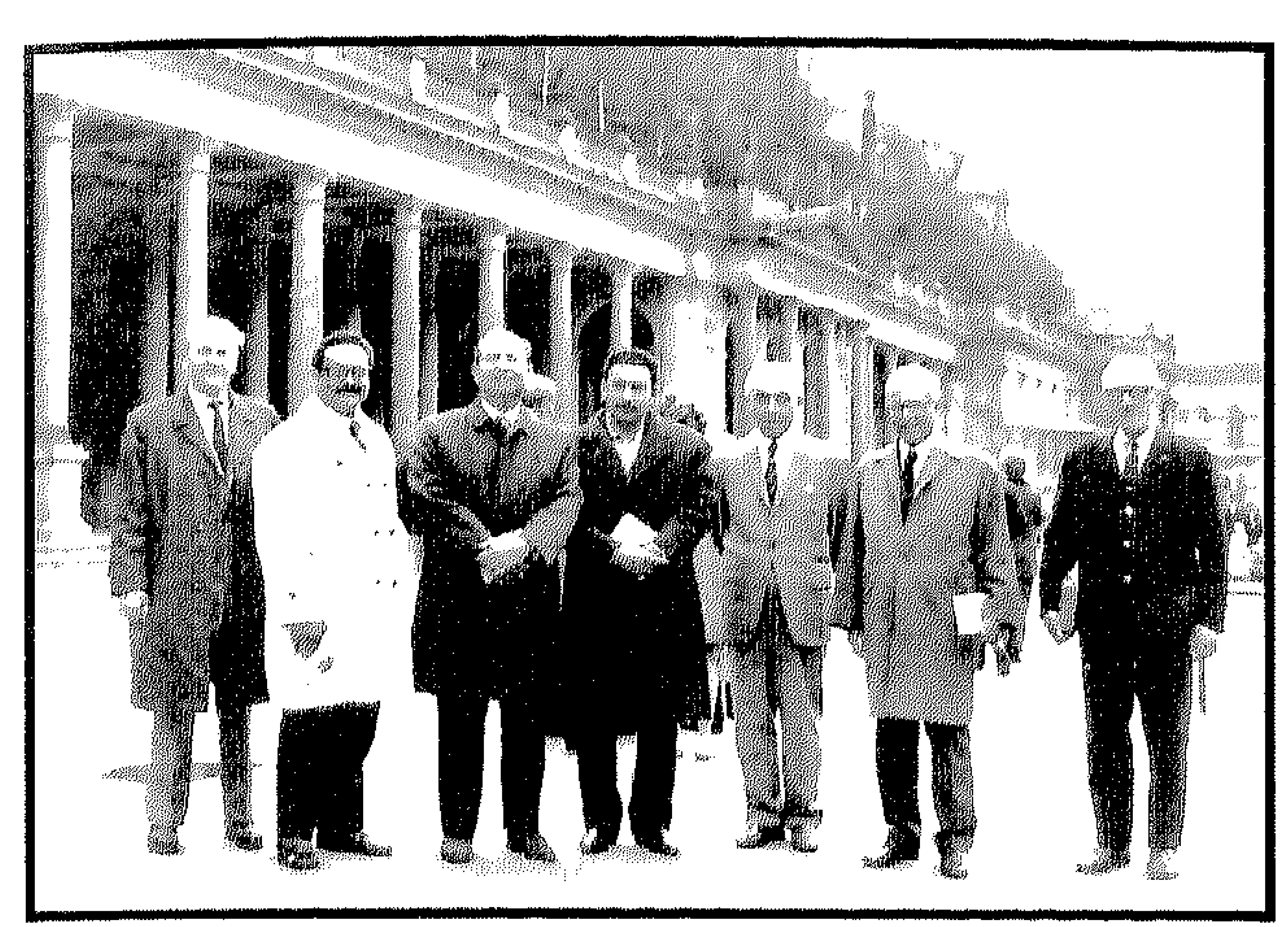
دكتور وليم سليمان قلادة فى وسط لقاء شبابى لمجموعة التنمية الثقافية.



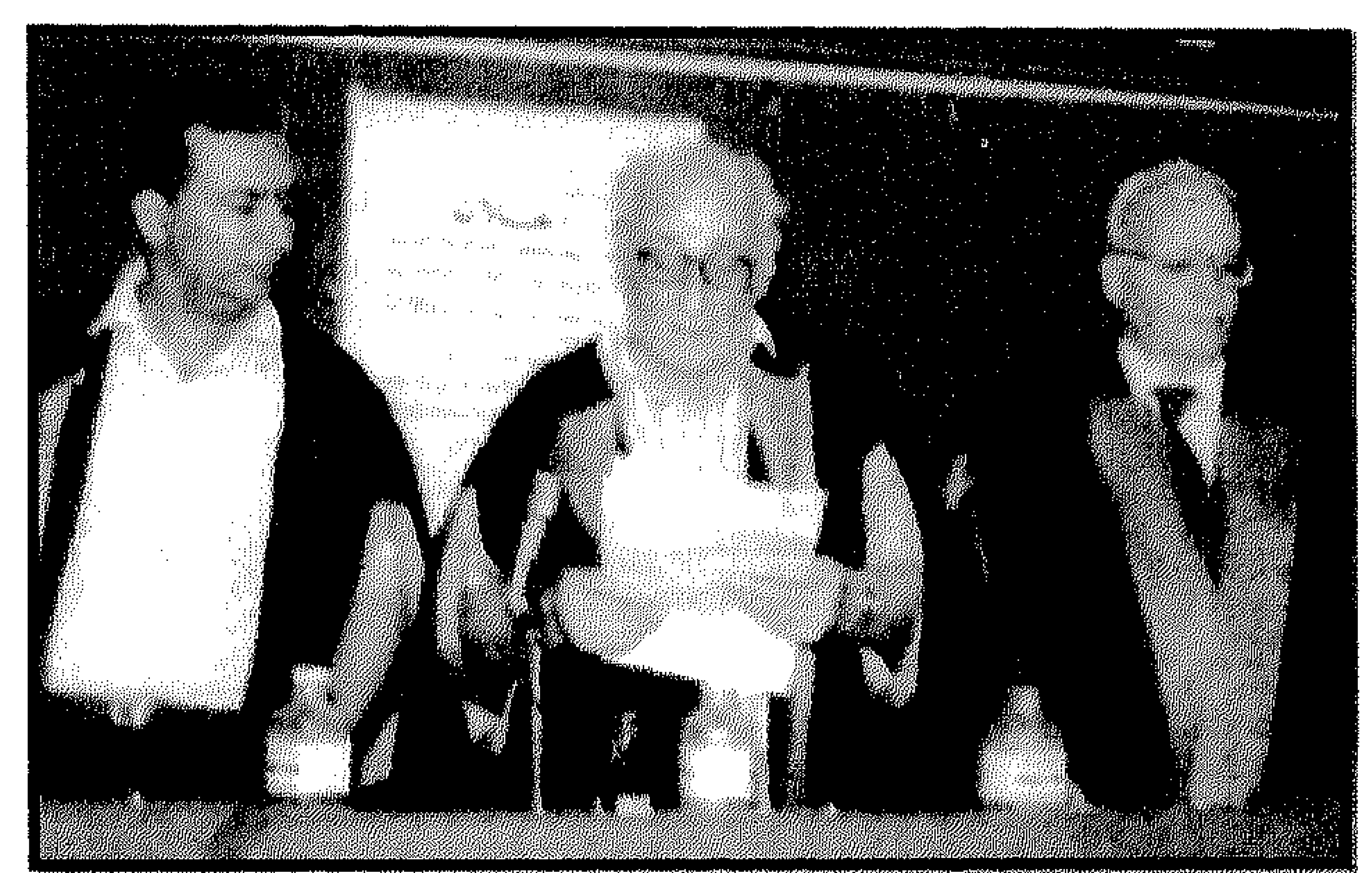
▲ د. وليم سليمان قلادة يشارك فى تأبين شهداء قانا- لبنان- يونيو ١٩٩٦ .



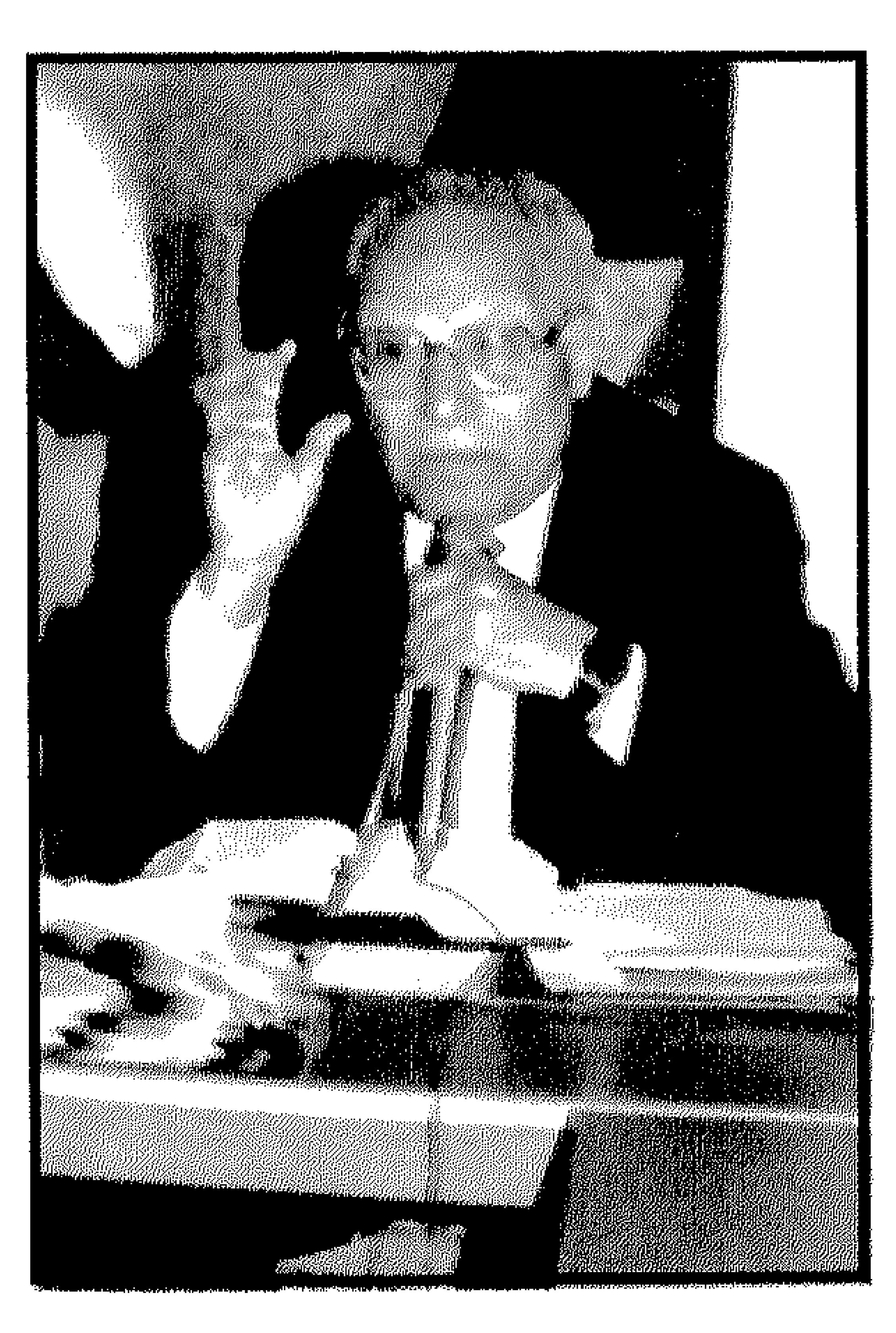
▲ د. وليم سليمان قلادة يلقى باسم الفريق العربى للحوار الإسلامى المسيحى البيان الختامى لندوة «مسلمون ومسيحيون معاً من أجل القدس»- يونيو ١٩٩٦ .



د. وليم سليمان قلادة
فى إحدى رحلاته بالخارج-١٩٧١ .



د. وليم سليمان يشارك فى
مناقشة إحدى الرسائل الجامعية.



الدكتور وليم سليمان قلادة
فى إحدى المحاضرات.

المحتويات

كلمة الأسرة .. وليم سليمان قلادة الوالد ٣

مقدمة .. وليم سليمان قلادة : شخصه وفكره (مقاربة أولية) .... سمير مرقس ٦

أولاً : قراءة فى المشروع الفكرى للدكتور وليم سليمان قلادة ١٥

– صفحات من كتاب المصريين ... أ. طارق البشرى ١٦

– المواطنة فى القلب ... ... د. أنور عبد الملك ٢٩

– فى وداع وليم سليمان قلادة ... د. محمد سليم العوا ٤٧

ثانياً : مقالات حول الدكتور وليم سليمان قلادة ٥٥

– مدرسة حب الوطن ... ... د. رفعت السعيد ٥٦

– المدرسة الوطنية للنزاهة والصالح العام ... أ. نبيل عبد الفتاح ٥٩

– مدرسة حب الوطن ... ... د. أحمد عبد الله ٦٢

– الرجل الذى حطم أغلال المساجين ... أ. رشدى أبو الحسن ٦٥

– خواطر شخصية ... ... أ. چورچ اسحق ٦٨

– وليم سليمان قلادة مازال بيننا ... ... أ. هانى لبيب ٧٠

ثالثاً : الدكتور وليم سليمان قلادة فى عيون الأدباء ٧٣

– نقطة عبور : حكيم من مصر ... أ. جمال الغيطانى ٧٤

– عاشق التاريخ ... ... أ. محفوظ عبد الرحمن ٧٧

رابعاً : الكنيسة المصرية والدكتور وليم سليمان قلادة. ٨١
- الدكتور وليم سليمان قلادة ... ... مجلة الكرازة ٨٢
- مدرسة كنسية . . مدرسة قانونية . . مدرسة وطنية ... نيافة الأنبا موسى. ٨٣
- إعلاء قيمة الشخصية الإنسانية ... د. موريس أسعد ٨٧
- ورحل مفكر الجماعة الوطنيـة ... د. مينا بديع عبد الملك ٩١
خامساً : حوار مع الدكتور وليم سليمان قلادة. ٩٧
- حوار لن يقرأه صاحبه ... سامح فوزى ٩٨
سادساً : الدكتور وليم سليمان قلادة .. حياته ومساهماته. ١٠٣
- حياتــه فى سطور ١٠٤
- مساهماته الفكرية ١٠٦

